وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية–قطب شتمة–

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

العلاقات التونسية الفرنسية وخلفيات الإحتلال

(1839-1881م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إعداد الطالب:

جمال الدين ساسي

إشراف الأستاذة :

مغنية غرداين

السنة الجامعية: 2016/2015

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية–قطب شتمة–

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

العلاقات التونسية الفرنسية وخلفيات الإحتلال

(1839-1881م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إعداد الطالب:

جمال الدين ساسي

إشراف الأستاذة :

مغنية غرداين

السنة الجامعية: 2016/2015

شكر وتقدير

الحمد و الشكر لله عز وجل الذي وفقني في إتمام هذا البحث ويسر لي كل الطرق من اجل التحصيل العلمي طيلة المشوار الدراسي.

ووفاءا وتقديرا واعترافا مني بالجميل أتقدم بجزيل الشكر لجميع الأساتذة المخلصين الذين لم يألوا جهدا في مساعدتنا في مجال البحث العلمي وأخص بالذكر الأستاذة الفاضلة غرداين مغنية لقبولها الإشراف على هذه الدراسة وصاحبة الفضل في توجيهي ومساعدتي في هذا العمل

كما أتقدم بالشكر الخالص على كل من ساعدني من قريب أو بعيد على إتمام هذه المذكرة من أساتذة وزملاء.

الإهـداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين

إلى كل أفراد العائلة

إلى أصدقائي وزملائي في الدراسة

إلى الأسرة الجامعية كافة

إلى كل باحث في سبيل العلم والمعرفة

أهدي هذا الجهد المتواضع.

قائمة مختصرات:

الكلمة	المختصر
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
دس	دون سنة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
مج	المجلد
م و ت ت د	المؤسسة الوطنية للتحقيق والدراسات
ED	Editions
p	page

مقدمة

لقد كانت منطقة الشمال الإفريقي موقعا استراتيجيا يشكل هدف العديد من القوى الأوربية خاصة في القرن التاسع عشر، كما تميزت العلاقات بين هذه القوى وبلدان الشمال الافريقي بحسب طبيعة المصالح والمطامح التي ترمي اليها تلك القوى ، أدى هذا بطبيعة الحال الى الظاهرة الإستعمارية التى عاشت ويلاتها العديد من الدول الإفريقية ومن بينها الدولة التونسية التي عرفت فترة متميزة من علاقاتها بأحدى تلك القوى وهي الدولة الفرنسية والتي طالما استمدت العديد من الجوانب الحضارية لها في عهد الاصلاحات التونسية نتيجة تأثر بايات تلك الفترة بالحضارة الغربية ويفسرلنا هذا مدى وصول العلاقات التونسية الفرنسية في حين كانت تونس تشكل محور إهتمام العديد من القوى الإستعمارية الأخرى ، ولكن السياسة الخارجية الإستعمارية لفرنسا سمحت لها ،بأن تتفرد في الأخير بإحتلال تونس تحت غطاء الحماية سنة 1881م. ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية :

كيف ساهمت العلاقات التونسية الفرنسية في بناء خلفيات الإحتلال الفرنسي للمنطقة؟

وللإجابة على هذه الإشكالية نستعين بطرح جملة من الأسئلة الفرعية وهي كالأتي :

-ماهي أبرز مراحل العلاقات التونسية الفرنسية وبما تميزت ؟

- ماهي أهم مظاهر هذه العلاقات ؟

-فيما تمثل تنافس القوى الأوربية على احتلال تونس؟

-كيف استطاعت فرنسا في الأخير الإنفراد بتونس وفرض الحماية عليها ؟

أسباب اختيار الموضوع :

بالرغم من أن معظم تاريخ تونس نال حظا وافرا من الدراسة من قبل المؤلفين والباحثين ، غير أن هذا الموضوع بالذات لم يكن كذلك ، مما كون لدي مجموعة من الدوافع والأسباب التي جعلتني أخوض في غمار هذا الموضوع ومنها:

الأسباب الذاتية :

-التعلق الشخصي بدراسة تاريخ تونس ، إضافة الى التشجيع والمساندة من طرف الأستاذة المشرفة على قبولها للإشراف على هذا الموضوع.

-الرغبة الملحة في تسليط الضوء على طبيعة هذه العلاقات ومعرفة المستفيد الأكبر منها .

- الرغبة في فهم الواقع المعاش للشعب التونسي في ظل هذه العلاقات.

الأسباب العلمية :

-قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بحد ذاته بل تكاد تنعدم.

-محاولة اثراء الرصيد المعرفي بدراسة متخصصة حول هذه العلاقات التونسية الفرنسية .

-محاولة تسليط الضوء على مدى الرغبة الفرنسية في التوسع في الشمال الافريقي وطرق وأساليب حصولها على ذلك.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذا الموضوع في معرفة مدى التأثر التونسي من الحضارة الفرنسية ، ومعرفة بأن هذه التأثر هو العامل الأساسي في بناء العلاقات التونسية الفرنسية في فترة الإصلاحات وأيضا يبين لنا شخصية البايات الذين بدأوا في المشروع الإصلاحي ، ويقدم الموضوع جوانب من كواليس مدى وصول العلاقات بين تونس وفرنسا وانعكاسات هذه العلاقات على كلا الطرفين كما يهدف الى توضيح الأسباب الغير مباشرة للإحتلال الفرنسي لتونس .

المنهج المتبع

ان طبيعة موضوع العلاقات التونسية الفرنسية وخلفيات الإحتلال يفرض علينا إتباع المنهج التاريخي الوصفي لعرض والتقصي عن الحقائق التاريخية التي واكبت تلك العلاقات وإيضاح

مظاهرها ،اضافة الى المنهج التحليلي لتحليل تلك المعطيات والوقائع التاريخية لكي لا نكتفي فقط بعرضها لتزداد أكثر وضوحا.

خطة البحث

يحتوي البحث على مقدمة وفصل تمهيدي و فصلين وخاتمة وملاحق :

-الفصل التمهيدي تناولت معطيات عامة حول تونس تمثلت في الدراسة الجغرافية بما فيها الموقع والخصائص الطبيعية والتركيبة السكانية كما احتوى على نظرة تاريخية عن تونس منذ العهد الفينيقي الى أواخر العهد العثماني .

-الفصل الأول : كان بعنوان الدوافع الخارجية لإحياء العلاقات التونسية الفرنسية خلال فترة الإصلاحات التونسية وتضمن مايلي:

أولا : حركة التظيمات في الدولة العثمانية وهنا تناولت بداية التنظيمات العثمانية ثم التنظيمات العثمانية في عهد كل من السلطان عبد المجيد الأول والسلطان عبد العزيز .

ثانيا: حركة التنظيمات في مصر في عهد محمد علي باشا ، تطرقت فيها الى الجوانب التي مستها حركة التنظيمات كالجانب العسكري والجانب الإقتصادي والعلمي والثقافي ، فكانت التنطيمات في كل الدولة العثمانية وفي مصر دافعا أساسيا أدى بالإيالة التونسية الى الحركة الإصلاحية .

ثالثا: مظاهر العلاقات التونسية الفرنسية أثناء فترة الإصلاح التونسي من مختلف الجوانب (تناولت هذه الفترة لأنها تميزت فيها العلاقات التونسية الفرنسية اضافة الى الفترة المحددة في هذا الموضوع)

أما الفصل الثاني بعنوان مظاهر النفوذ الأوربي على تونس وخلفيات الإحتلال، احتوى تناولت فيه

أولا : أهم دوافع النفوذ الأوربي على تونس وتطرقت فيه الى ظروف التي كانت تعيشها تونس آنذاك من صدور قانون عهد الأمان 1857م وثورة علي بن غذاهم 1864م وانتصاب اللجنة المالية الدولية لرقابة الخزينة التونسية .

ثانيا: التنافس بين الدول الأروبية على تونس وذلك من خلال تواجد الجاليات والقناصلة الأوربيين في الإيالة التي باتت ميدان للمعارك بين هؤلاء القناصل لحصولهم على الإمتيازات.

ثالثا :انتصاب الحماية الفرنسية على تونس 188م فتطرقت فيه الى ظروف وقوع الحماية وتوقيع معاهدة الباردو ثم إنطلاق المقاومة التونسية.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن جملة من النتائج المتوصل اليها من خلال هذا البحث.

مصادر ومراجع البحث

لمعالجة هذا الموضوع ولمعرفة حقيقة الإصلاحات التي تمت في تونس والتي تؤكد على العلاقات التونسية الفرنسية وماتبعها من خلفيات للاحتلال اعتمدت على جملة من المصادرو المراجع ومنها:

خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك يتمثل هذا المصدر في سرد الرحلة الكبرى التي قام بها خير الدين التونسي الى العواصم الأوربية وكونه من أهم اعلام الإصلاح في الإيالة التونسية ، وأحمد بن أبي الضياف ، اتحاف اهل الزمان في اخبار ملوك تونس وعهد الامان ،(مع العلم أن أحمد ابن أبي الضياف كان يشغل منصب وزير أثناء الإصلاحات التونسية ويؤرخ مباشرة للأحداث التي كانت تعيشها الإيالة التونسية) وكمااعتمدت على مصدر صفوة الإعتبار لمؤلفه محمد بيرم الخامس ، وعبد الواحد المراكشي المعجب في أخبار المغرب وغيرهامن المصادر، أما المراجع فكان أهم ما اعتمدت في بحثي علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، و شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الحديث ،ليبيا،تونس الجزائر،المغرب،بالإضافة الى شوقي عطاالله الجمل وعبد الرزاق ابراهيم ،تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، أحمد القصاب ،تاريخ تونس المعاصر، وحسن محمد جوهر ،شعوب العالم تونس ، وراغب السرجاني ، قصة تونس من البداية الى ثورة 2011، بالإضافة الى جملة من الرسائل الجامعية وأهمها التي كانت لنور الدين صحراوي ، النفوذ الأوربي على تونس وغيرها.

الصعوبات

ان أهم الصعوبات التي واجهتني هي على العموم الصعوبات التي قد تواجه أي باحث وتتمثل في قلة المصادر والمراجع التي تتناول موضوع العلاقات التونسية الفرنسية بإسهاب كما وجدت أيضا تكرار المعلومات في معظم المصادر وعدم التفصيل فيها .

الفصل التمهيدي

معطيات عامة حول تونس

-أولا:دراسة جغرافية لتونس

-ثانيا:دراسة تاريخية لتونس

أولا : دراسة جغرافية لتونس

1) الموقع الجغرافي والفلكي لتونس

تقع تونس شمال القارة الإفريقية ، وهي إحدى الدول المشكلة لما يسمى بالمغرب العربي مع الجزائر والمغرب وموريتانياوليبيا، تمتد تونس بين خطي عرض(30° و37°) شمالي خط الاستواء ،وبين خطي طول (5 ،7°) و(6،11°) شرقي غرينتش يحدها من الغرب الجزائر ومن الجنوب الشرقي ليبا أما في الشمال والشرق فيحدها البحر الأبيض المتوسط [1]،(أنظر الملحق1) فينقسم هذا الأخير الى قسمين وتونس تشرف على قسمه الغربي بساحلها الشمالي وعلى قسمه الشرقي بساحلها الشرقي ويقترب شمال شرق تونس من جزيرة صقلية الإيطالية[2] مكونا بذلك مضيق صقلية- تونس (140 كلم) [3]، كما تبعد عن سردينيا بأقل من 200 كلم وتقدر مساحة تونس بحوالي 163210 كلم² مما يجعلها أصغر بلدان الشمال الإفريقي وأن لهذا الموقع الجغرافي أهميته السياسية والحربية والاقتصادية[4]، كما أن لهذا الموقع أثر كبير في تاريخ سكانها وطبائعهم وخصائصهم وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية بوجه عام وعلى مر العصور[5] .

---

[1] عاطف عيد ، موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس والجزائر، بيروت ،1999،ص7.

[2] هي أحد وأهم وأكبر جزر البحر الأبيض المتوسط تكاد تقع في منتصف هذا البحر وهي على شكل مثلث تتساوى أضلاعه ولذلك سميت قديما "بأريتينا كريبا " أي جزيرة المثلث ويفصلها عن إيطاليا مضيق مسينا وهو لايتجاوز ثلاث كلم فهي إمتداد جغرافي لإيطاليا وتبلغ مساحتها 25،641 كلم² وكما تضم خليطا من الأجناس منهم اليونانيين واليهود وغيرهما ولهذا الموقع الهام في البحر الأبيض المتوسط جعلها مطمعا لكل القوى السياسية التي تصارعت في هذا البحر على مر التاريخ الإنساني ،أنظر عمر يحي محمد ، السياسة الفاطمية في جزيرة صقلية وجنوب إ يطاليا ،قسم التريخ ،جامعة الملك عبد العزيز، دس ، ص4.

[3] عاطف عيد ،المرجع السابق ،ص7.

[3] حسن محمد جوهر ، شعوب العالم تونس ، دار المعارف ، مصر ،2001، ص95.

[4] هاينريش بارت ، سبع رسائل مخطوطة لهانريش بارت عن رحلته الى تونس 1845-1846م ،تح، وتع ، منير الفندري ،م ، و ، ت ، ت ،د ، بيت الحكمة ، تونس ،1987، ص18.

[5] حسن محمد جوهر ، المرجع السابق ،ص 96.

2) خصائص الموقع الجغرافي التونسي :

ان تونس بامتدادها الجغرافي تتميز بأقسام سطحية متعددة يمكن تقسيمها بالشكل التالي:

أ)السهول الساحلية : وتتمثل في شمال وشرق البلاد بطول 1300كلم ومنها :

-السهل الشمالي : يمتد بين شواطئ المتوسط وسفوح جبال الأطلس ، وهو ضيق اجمالا بحيث لايتسع الا حول خليج تونس ، ويتميز بالتربة السوداء الخصبة وخاصة سهل ماطر وباجة ويتميز بكثرة المياه والغابات والنباتات وينتهي في الشمال الشرقي بشبه جزيرة شريك التي أطلق عليها أهل البلاد اسم (الوطن القبلي)[1].

-السهل الشرقي : تواجه تونس الحوض الشرقي للمتوسط ابتداءا من الوطن القبلي ، أو بالضبط منطقة النفيضة وتنتهي عند مدينة صفاقس[2] عاصمة الجنوب بطول حوالي 300 كلم ,وتتميز أرض هذا الساحل بالخصوبة وهي مستوية وتحتوي على العديد من المستنقعات أهمها مستنقع المنستير[3] ،ومسنقع الهاني أما شواطئ هذا الساحل فخي صخرية في الشمال ورملية في الجنوب ، كما يوجد لهذا الساحل بعض الخلجان الطبيعية المهمة وأبرزها الحمامات وقابس[4].

---

[1] عاطف عيد ، الرجع السابق ، نفس ص7.

[2] تعتبر مدينة صفاقس عاصمة الجنوب التونسي ولها مكانة إقتصادية كبيرة إذ تعتبر المرسى المخصص للزيوت والتمور وفوسفات قفصة وهي أيضا مدينة فلاحية إذ تكثر فيها غابات الزيتون اللوز وتتميز بكثرة حدائق الأزهار الفريدة من نوعها ، أنظر عثمان الكعاك ، الرحلة الشابية 1966م ،تح ، محمد رؤوف بلحسن ، تونس ،2009، ص86،87.

[3] المنستير مدينة تقع على ساحل البحربين سوسة والمهدية على خليج الحمامات في ولاية سوسة تشتهر بملاحتها ومسابحها يبلغ عدد سكانها حوالي 25 الف نسمة لهذه المدينة تاريخ عريق إذ يوجد بها خمس قصور ويقال أن من بنى القصر الكبير فيها هو هرثمة ابن أعين عام180 هـ أنظر يحي شامي ،موسوعة المدن العربية والإسلامية، د ار الفكر العربي، ،بيروت ،1993، ص157.

[4] اسمها في العصور القديمة تاكاب فأصبحت اللفظة باللغة العربية تاكابس أو قابس وهي مدينة في تونس تقع على ساحل خليج قابس تبعد بمسافة 404 كلم جنوبي مدينة تونس وعلى بعد 15 كلم على مدينة قفصة ، أنظر محمد الطالبي ،دائرة المعارف التونسية ، تر ،محمد العربي عبد الرزاق ورياض المرزوقي ، ج4، بيت الحكمة ،قرطاج ،تونس ،1994.ص 98،99.

ب)الأقاليم وتتميز تونس بإقلمي الجبال والهضاب فتتمثل في :

-الاقاليم الجبلية : وتمتد في شمال وغرب البلاد وتلي السهول الساحلية مباشرة ، وهي تشمل الأطراف الشرقية القليلة الارتفاع ، من سلاسل الأطلس التل والصحراوي التي تمتد على طول الساحل الشمالي لدول المغرب وهي تتجه في تونس نحو الشمال الشرقي مخلفة فيما بينها عددا من الوديان والأنهار أهما نهر مجردة الذي يبلغ طوله نحو 288 ميلا ويصب في خليج تونس شمال مدينة تونس[1]، وفيه فروع كثيرة أهمها نهر سليانة ونهر ملاق ونهر مليان وهو اسم على غير مسمى اذ تنضب مياهه معظم أيام الصيف أما اشهر جبال هذه السلاسل جبل الشغبي الذي يباغ ارتفاعه حوالي 1544م وجبال عين دراهم الي يقدر ارتفاعها بحوالي 1000م.[2]

-اقليم الهضاب : فهو يمتد جنوب الاقليم الجبلي غرب الساحل الشرقي وهو عبارة عن هضاب مستوية السطح وتمتد بمعدل ارتفاع 2500م تقع في الغرب حيث تنحدر منها مجاري مائية ذات تصريف داخلي وأهمها وادي مرسالة ووادي زرود وتعرف هذه المناطق بخضوعها للماء ، بحيث تفيض أنهارها اذا أمطرت فتغرق ماحولها ،وتجرف أديم الأرض واذا انحبست االأمطارجفت الأرض وتشققت [3].

[1] عاطف عيد ،المرجع السابق ، ص8.

[2] نفسه ، ص9.

[3] نفسه ، ص10.

ج)البحيرات والصحراء: تنخفض الأرض في بعض المناطق الغربية الجنوبية من تونس عند الحدود الجزائرية ، بحيث تصل دون مستوى البحر فتكون بذلك بحيرات واسعة أهمها شط الجريد وشط الغرسة وشط الفجاج فتمتد نحو الجنوب بتدرج نحو الجفاف ورمال الصحراء[1] .

يرافقه تدرج مماثل في ابتعاد المدن وظهور الواحات بنخيلها والكثبان الرملية التي يفصلها سهل جفارة عن المتوسط.

د)المناخ : يتميز المناخ في تونس بتباينه حسب اختلاف الأقاليم والفصول ، فهو على العموم ذات الشتاء الدافئ والصيف الحار اذ تهب الرياح الحارة في الصيف فلا تسقط الا القليل من الأمطار على الأجزاء العليا من السفوح الشمالية لجبال أطلس التل، أما قي الشتاء تهب الرياح الجنوبية الغربية وتحدث بعض الأعاصير المسببة لسقوط الأمطار في أنحائها المختلفة . وتختلف في سقوطها من الشمال الى الجنوب حتى تكاد تنعدم في المناطق الجنوبية القصوى [2]،هذا الاختلاف في المناخ يجعل كل منطقة من مناطق تونس مختصة في انتاج معين[3] ، فشمال سلسلة جبال الأطلس خاصة على ضفاف نهر مجردة اذ توجد به أخصب الأراضي الصالحة للحبوب وفي جنوب جبال الأطلس توجد بها مزارع كبيرة ومراع شاسعة لتربية الحيوانات[4].

[1] عاطف عيد ، المرجع السابق نفس ،ص9.

[2] حسن محمد جوهر ،مرجع سابق ،ص97.

[3] الحبيب ثامر ، هذه تونس ، مطبعة الرسالة ، مكتبة المغرب العربي ، دس ،ص6

[4] نفسه، ص7.

3) المجتمع التونسي

يتكون المجتمع التونسي إستنادا لجملة الدراسات التاريخية من أجناس مختلفة كانوا قد قدِّموا الى تونس مهاجرين أومتاجرين أوغازين أوغيرها من الأغراض وجاءت هذه الجماعات في أوقات مختلفة مدفوعة بطبائعها وصفاتها وخصائها الجسمية والعقلية[1]، وبطبيعة الحال إرتبطت هذه الجماعات مع مرور الوقت بإرتباط الجوار أو المصاهرة فأثروا في هذه البلاد وتأثروا بها[2] أما بالنسبة لتخصيصنا لأهم العناصر المكونة للمجتمع التونسي منذ القديم فقد ظهرت في السنوات الأخيرة بعض الأبحاث العلمية في مختلف الإختصاصات تناولت تاريخ الأقليات العرقية والدينية في عدة أقطار من العالم ،إندرجت ضمن سياق عالمي نادى بحقوق هذه الأقليات ومصيرها[3].ولعل من أهم الفئات المكونة للمجتع التونسي نجد :

-فئة اليهود: فقد حظيت فئة اليهود بنصيب من الدراسات التاريخية والتي ركزت أساسا على إنتشارهذه الفئة في عدة مناطق من العالم ومن بين ما أبرزت هذه الدراسات الأوضاع التي عاشتها هذه الأقليات ومدى إلتحامها وتأثيرها أو تأثرها بالمحيط المتواجدة به والدور الذي تقلدته[4]، فقد إستوطنت هذه الفئة في تونس من أقدم العصور فقد جاءت أول جماعة منهم في عهد الفينيقيين ولجأت إليها جماعة أخرى في القرن الحادي عشر أتوا من إسبانيا بعد أن عذُبوا فيها ونُكل بهم فاستوطنوا في تونس كباقي الأقطار العربية الأخرى ، وهم يحافظون على شعائرهم وعاداتهم دون تفريط وهؤلاء يهود الريف[5] .

---

[1] حسن محمد جوهر ، مرجع سابق ،ص55.

[2] نفسه ص 56 .

[3] رضا بن رجب ، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (1685-1857م) ،تق ، عبد الحميد الأرقش ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،2010، ص 12.

[4] نفسه ،ص13.

[5] حسن محمد جوهر ،مرجع سابق ،ص56.

أما الذين يقطنون المدن فهم لايعطون وزنا للشعائر الدينية ويرتادون المطاعم العامة ويأكلون اللحوم المقدمة إليهم بما في ذلك لحم الخنزير المحرم عليهم[1]، ويحرص يهود تونس على الإكثار من النسل إبتغاء زيادة عددهم ويُذكرهم حاخاماتهم بذلك في كل مرة ويشجعونهم على الزواج وإنجاب الأطفال بالأقوال المأثورة وضرب الأمثلة ومن أمثالهم مثل الذين لايتزوجون ويحددون نسلهم كمثل الذي يقتل نفسا حرم الله قتلها، ولليهود في هذ البلد أحياءًا خاصة بهم في كل مدينة أو قرية ونجد بيوتهم تبرزُمرة وتختفي في وقت أخر دليلا على عدم إتباعهم لنمط واحد في البناء ولا يراعون نظاما لها[2].أما من حيث دورهم في الإقتصاد فقد برزوا في مجال التجارة بشكل كبير وكانوا منافسين للفئات الأخرى المقيمة بتونس وللسكان المحليين فمثلا من المواد التي برعوا في تجارتها مادة الصوف[3]، إذ لم تكن علاقة التجارة التونسية لهذه المادة مقتصرة على التوريد فحسب بل كانت تصدِّر كميات هامة منها إنحصرت في الصوف الممشط أو الذي لم يخضع للتنظيف وهنا قد وُجدت الأرباح التي تأتت من هذه البضاعة كانت وراء ثروات طائلة كونها بعض التجار اليهود[4]، هذا إضافة الى تجارة التموروالجلود والحناء والصابون بنوعيه الحجري[5] والطري[6].

[1] حسن محمد جوهر ، مرجع سابق ،نفس ص56.

[2] نفسه ، ص65-66.

[3] رضا بن رجب ، المرجع السابق ،ص355.

[4] نفسه ،ص358.

[5] الصابون الحجري يكون ذو شكل مستطيل يصنع وفق قالب ، وهو الأكثر إستعمالا في الحاجيات اليومية.نفسه ، ص520.

[6] الصابون الطري وهو الصابون السائل ويستعمل خاصة لغسل الصوف ، نفسه ، نفس الصفحة 520.

-فئة الطوارق: تعتبر فئة الطوارق من أشهر قبائل البربر[1] وأذيعها صيتا ومنهم من يسميهم "توارك" ويزعمون أن علة هذا الإسم حين دخلوا الإسلام بعد ما جاء به العرب المسلمون ولكنهم سرعان ماتبينوا ان الوُلاة والحكام يفرقون بينهم وبين العرب الوافدين وأنهم يعلون عليهم فثارت ثائرتهم وأخدتهم العزة فتركوا بلادهم ودينهم وُسموا بذلك توارك ولكن بعد مرور الوقت فرقوا بين الإسلام والعرب فرجعوا الى الإسلام بأشد استمساك[2].

و يتميز الطوارق بتفردهم الإجتماعي ،نقلا عن أحسن الدواس، إذ يقول ريني بوتيه" المجتمع الطارقي مجتمع متفرد في لباسة ولغته ولباسه ،حيث حياة الطوارق وطريقة لباسهم ونمط حياتهم الذي لايشبه نمط أخرفي أي رقعة على وجه المعمورة" [3]

وفي وصف الطارقي نجده طويل القامة وعريض الأكتاف وقوي البنية ، ويلبس رجال الطوارق عادة اللثام أسود أو أزرق أو أبيض لايخلعونه في يقظتهم أو في نومهم حتى في أثناء تناولهم الطعام وقد ذهب الباحثين مذاهب شتى في أصل اللثام وسبب لبسهم له فيرى بعضهم أنهم يتخذوه واقيا من الرمال والرياح العاصفة عند إختراقهم الصحراء ثم صار عادة لازمة ويرى آخرون أنهم ورثوه عن أجدادهم الذين إتخذوه عند ذهابهم الى السودان أوغيرها ليحسبهم من يراهم أنهم سودانيين فلا يتعرض لهم بأذى[4].

---

[1] يعتبر البربر من أقدم السكان الذين إستوطنوا بلادالمغرب أو بالأحرى هم السكان الأصليون، ويمكن رد تسمية كلمة البربر الى عدة روايات تداولها أغلب المؤرخين قسمت في مجملها الى خمسة روايات تعطي كل واحدة منها مفهوما خاصا بكلمة البربر ومن المؤرخين منيرجع بأن معناها يوناني حيث يُقال أن مصدر الكلمة من اليونان "فارفروس" ومعناها اللغط والكلام الغير مفهوم أنظر شنعة خديجة ،إعتناق البربر للاسلام ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر تخصص الدين والمجتمع ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،جامعة وهران، الجزائر،2011-2012،ص10.

[2] حسن محمد جوهر ، مرجع سابق ،ص71.

[3] أحسن دواس ، المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن ال19م من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سيسيو ثقافية ،مذكرة مقمة لنيل رجة الماجستير في الأدب المقارن ، كلية الأاب واللغات ،قسم اللغة العربية وأدابها ،جامعة منتوري ،قسنطينة ، الجزائر ،2007-2008، ص 57.

[4] حسن محمد جوهر ، مرجع سابق ، ص 72.

والطوارق شعراء بطبيعتهم وخاصة نسائهم وهم كعرب الجاهلية يقيمون أسواقا أبية يلتقي فيها الشعراء رجالا ونساءا ينشدون ملاحم تاريخية يشيدون فيها أبطالهم وبطولاتهم ، ومن عادة الطارقي دائما يحمل معه سيفا ويمسك رمحا[1]، وينقسم الطوارق الى ثلاث أقسام منهم النبلاء أو الأشراف وهم الزعماءوالقواد في الحروب ومنهم الموالى ومهمتهم الإمدادات بالرجال والأسلحة في الحروب ومنهم الخدم ولهم معظم الأعمال اليدوية كتنظيف البيوت وإعداد الطعام وغيرها من الأعمال[2].

–الجاليات الأوربية : يعود قدوم الجاليات الأوربية الى تونس الى فترات زمنية مختلفة ثم أخذ عددهم يتزايد من وقت لأخر خاصة في القرن ال19م وتعود أقدم العائلات المتواجدة في تونس لأسرى مسيحيين تم تحريرهم وفضلوا البقاء في البلاد، أو نازحون أو مغامرين وهدفهم الثروة أدى هذا التوافد الى أن وصل عددهم خلال القرن ال19م الى 12064 نسمة تقريبا من أصل مليون نسمة من أصل مجمل السكان [3] .

وإن أكثر الجاليات الأوربية المتواجدة بتونس نجد الفرنسيين والإيطاليين والمالطيين ولكل جالية منهم حي خاص بها في المدن التونسية الكبيرة ، ويذكر أن المالطيين كانوا يقدرون في القرن ال19م بحوالي 20 ألف نسمة وهم يمثلون الأغلبية بين الأوربيين وهم يمتازون بسرعة التأقلم ويمارسون كل الأشغال في تونس لأنهم كانوا يشعرون كأنهم في بلدهم[4].

---

[1] حسن محمد جوهر، المرجع السابق ،ص74 .

[2] نفسه ،ص79.

[3] نور الدين صحراوي ، النفوذ الأوربي (الفرنسي – الإنجليزي–الإيطالي) في تونس 1857–1881م مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،قسم التاريخ ، جامعة الجزائر2 ،2012–2013م،ص72.

[4] نفسه ،ص73.

أما عن الانشطة الإقتصادية التي يمارسها الأوربيون في تونس فتأتي في مقدمتها التجارة وخاصة الخارجية منها ويعود الأمر هنا الى التونسيين في ممارسة هذا المجال ففي سبيل المثال في سنة 1878م رست في ميناء تونس 200 سفينة و57 باخرة وحوالي400 سفينة شراعية أغلبها للأجانب والمجال الأخر الذي كان للأجانب باع كبير فيه يتمثل في الفنيين والخبراء ورجال التعليم المدني والعسكري[1]. أما الأطباء فقد كان عددهم كبير وكثير منهم إستوطن في البلاد وأصبح من أصحاب النفوذ فيها خاصة من كان منهم مُلحقا بخدمة البايات في تونس[2]. وبالرغم من أن إقامة هذه الجاليات لمدة زمنية معتبرة في البلاد التونسية إلا أننا نلتمس بعض العداوة المتأصلة والبغض المرير وخاصة بين الجالية الفرنسية والإيطالية وتعود هذه العداوة الى أهداف سياسية لكلا الدولتين[3] .

[1] نور الدين صحراوي ، المرجع السابق ، ص 75،76.

[2] نفسه ،ص:78.

[3] حسن محمد جوهر ، مرجع سابق ،ص:81.

ثانيا) دراسة تاريخية لتونس

1) تونس في تاريخ بلاد المغرب القديم

لقد لعبت منطقة الشمال الإفريقي عموما و تونس خصوصا أدوارا مهمة على إمتداد تاريخها منذ أن كانت قرية صغيرة بربرية سيطر عليها الفينيقيون حتى سنة 146 قبل الميلاد فأسسوا بها مدينة قرطاج[1] المشهورة في التاريخ التونسي سنة 814 ق،م ، فالفينيقيون لهم إنتشار واسع غير بلدان المغرب العربي فالإكتشافات الأثرية أكدت هذه الظاهرة المهمة فمدينة قرطاج أصبحت إمبراطورية واسعة تمتد من شواطئ إفريقيا الشمالية حتى مداخل المتوسط (مضيق جبل طارق)[2]وبالتالي أصبحت إيرادات المستعمرات للفينيقيين كما كان لها دورا إقتصاديا مهم إذ كان الشعب القرطاجي كان ميالاً الى البحر وإقامة المستعمرات لذا كانت عائدات التجارة تُشكل المداخيل الأكثر حسما في حياتهم[3]ونتيجة توسع القرطاجيين وحدوث اضطرابات داخلية وظهور المخاطر الخارجية أدى بهم الى الضعف وبالتالي عرفت قرطاج الإحتلال الروماني سنة 146 ق،م الذين عاثوا فيها فسادا وعلى حسب تاريخ الرومان كثرة حركة الإسيطان الروماني على قسم كبير من أراضي البلا التونسية (أفريكا نوفا)[4].

---

[1] إسم قرطاج الفينيقي "قرت حدشت" يعني المدينة الجديدة أسسها سنة 814 ق،م فينيقيون أتوا من مدينة صور، وهي تقع تقريبا على بعد 16 كلم من الشمال الشرقي لمدينة تونس يحدها من الجنوب خليج تونس ومن الشرق البحرومن الشمال بحيرة "سوكرا"، مناخها معتدل حار يشبه الى حد بعيد مناخ تونس الحالية هذا المناخ يوفر لقرطاج محاصيل متوسطية كالحبوب والزيتون والخضار وغيرها أما الثروة الحيوانية فهي تزخر بها أيضا كالحيوانت المفترسة التي تستخدم في العروض وغنية شواطئ قرطاج بالأسماك وغيرها ،أنظر مادلين هورس ، تاريخ قرطاج ، تر،إبراهيم بالش، منشورات عويدات ،باريس ،1981، ص10.

[2] عاطف عيد ، موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس والجزائر ، مرجع سابق ،ص 21.

[3] نفسه ص22.

[4] محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ الى الإستقلال، تع، محمد الشاوش ،محمد عجيمة ،ط3، د ار سراس للنشر ، ،تونس ،1983،ص26 .

فعادة الرومانيين كانوا إذا إحتلوا بلادا يأخذون قسما من أراضيها يبيعون نصفه قياما بنفقات الحرب ويعطون النصف الأخر للفقراء بأجرة طفيفة [1]،ولم يقتصر أسلوب الإمبراطورية الرومانية على نزع الأراضي عنوة فقط بل قامت بعمليات ترحيل القبائل التي تملك الأراضي الخصبة وطردهم نحو الأقاليم السهبية الفقيرة وتسارع إنتشار الحضارة الرومانية وفي الحقيقة لم تكن نتيجة هجرة الإيطاليين الى الشمال الإفريقي فقط بل أصبحت من عمل الأفرقة نفسهم وقدإهتم الرومان باستخراج المعادن وحلت الحركة التجارية أهمية كبيرة عند الرومان مع الأقطار المجاورة التي مكنتهم من التحكم وإستغلال المنطقة أكثر [2] لكن بالرغم من القوة والسيطرة التي كانت تمتلكها الإمبراطورية الرومانية دب فيها الضعف الداخلي الذي كان سببا في سقوطها ومنذ تلك الفترة والمؤرخين لايكفون عن البحث والتقصي عن الأسباب التي أدت الى سقوطها فاختلفت الأراء حسب المناخ الفكري والسياسي الذي سيطر على العصر الذي عاش فيه كل مؤرخ ومن ثم يمكن القول بأنه توجد تفسيرات مختلفة عالجت موضوع سقوط هذه الإمبراطورية منها التفسير الإقتصادي وأخر ديني[3]،والسبب المشترك بين مختلف المؤلفين والذي أدى الى إنهيار الإمبراطورية هو عدم الإستقرار السياسي إذ حدثت سلسلة إغتيالات للأباطرة من أجل الوصول الى السلطة هذا ما أضعفها وأدى بها للسقوط[4].

[1] نجيب إبراهيم طراد ، تاريخ الرومان ، تق، محمد زينهم محمدعزب ، مطبعة الغد ، جيزة ،1998، ص 166.

[2] دياكوف ،كوفاليف ،الحضارات القديمة ،تر،نسيم واكيم الياجزي،ج2 ،دار علاء الدين ،دمشق ،200،ص512.

[3] نفسه ،ص 542.

[4] نفسه ، ص543.

لتشهد بذلك هذه المنطقة سيطرة الوندال[1] ويعود سبب غزوهم لهذه المنطقة لأسباب كثيرة منها الإستيلاء على روما [2]والقضاء على وجودهم في منطقة الشمال الإفريقي ولسبب إشتهار المنطقة بالثراء الزراعي حيث كانت الممول الرئيسي لروما وجميع مقاطعاتها إضافة الى إستنجاد الكثير من القبائل المتمردة على الإمبراطورية الرومانية بالوندال أما عن حالة المنطقة أثناء الإحتلال الوندالي فقد كانت بحالة من الإزدهار والرخاء وتقريبا نفس الحالة التي كانت تعيشها الإمبراطورية الرومانية (أي كما كانت هذه المنطقة قبل وصول الوندال)[3] فقد ُضربت السكة النقدية ودليل ذلك هو العثور على العديد من القطع النقدية التي تعود الى الملوك الوندااليين [4]أما من حيث الأراضي الزراعية ومحاصيلها فقد كانت الملكية عند الوندال ملكية جماعية اذ كانت الاسر تتوارث جماعيا تلك الأراضي لكن إنعدام الخبرة عندهم في مجال الفلاحة يجعلهم يكتفون بدفع الضرائب ، أما التجارة في عهد الوندال دلت نشاطها العديد من البراهين خاصة في مجال تجارة العبيد والصناعات الحرفية[5].

---

[1] شاع إستخدام هذا المصطلح كثيرا في اللغات الاوربية الحديثة لدرجة أنه إشتقُ منه الإسم الموصوف بالوندالية (les vondalisme) الذي صار يعني التدمير الوحشي وبذلك فالكلمة صارت مرتبطة بالهدم والتخريب والعدوانية وفي هذا الصدد يرى المؤرخ شارل أندري جوليان أن الوندالية التي ترمز الى الاعمال الوحشية بصفة عامة هي مجرد أسطورة بالرغم من ما إرتكبه الوندال من أعمال فضيعة ، أنظر العود محمد الصالح ،التحولات الحضارية في شمال إفريقيا الفترة الوندالية 429-534م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،قسم الأثار، جامعة منتوري ،قسنطينة ،الجزائر ،2009-2010،ص39.

[2] تذكر الأساطير بأن مدينة روما تأسست على يد رومولوس بمساعدة ريموس و أمهما كانت كاهنة في معبد الإله ، وكانت روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، ومع ظهور الدعوة المسيحية وإنتشارها أصبحت مركزا للدين المسيحي ومقرا أساسيا للكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى خاصة بعد إنحطاط الإمبراطورية الرومانية ، أنظر دياكوف كوفاليف ، المرجع السابق ،ص462،456.

[3] العود محمد الصالح ،المرجع السابق، ص96.

[4] نفسه ،ص 97.

[5] نفسه ،ص103-107.

فكان سبب نهاية الوندال من منطقة الشمال الإفريقي من أسباب وجودها تقريبا في تلك المنطقة فقد شهد الوندال ثورات عديدة ضدهم من قبل القبائل التي إستنجدت بهم في بادئ الأمر بعد تأكدهم من أنهم لايختلفون كثيرا عن الرومان في السيطرة ونهب كل خيرات المنطقة زيادة على الضعف الذي ينتاب الوندال فتركت القبائل الثائرة المجال للتدخل البيزنطي لإنهاء الوجود الوندالي[1] وبالتالي سهلوا بدورهم هذا وجود البيزنطيين[2] فقد وعد هؤلا القبائل البربرية الثائرة بأنهم سيعيدون ماكان لإفريقية من نظام حضارة ،وفي الواقع لم يحتل البيزنطيون سوى جزء من إفريقيا اي شمال البلاد التونسية وبعض السهول الساحلية والمراكز الإستراتيجية في الداخل أما بقية المناطق فقد إستعادت فيها القبائل البربرية سيادتها [3]، إعتنى البيزنطيون بقوتهم العسكرية فكانت تمثل مشكلا حادا وبالغ الأهمية فإضطروا الى تجميع قوتهم العسكرية وأحاطوا مستعمراتهم بسلسلة من الحصون المنيعة ولكن لم يفي البيزنطيون بعهدهم لتلك القبائل فسرعان ما فرضت الكنيسة البيزنطية سلطتها المادية والروحية في ذلك العالم المنهار ،وتباينت المناطق التي يحتلها البينطيون من التي كان يميزها القهرو الإضطرابات بسبب إحتكارهم النفوذ السياسي والإداري[4].

[1] العود محمد الصالح ، المرجع السابق ، ص90.

[2] لقد كانت الدولة البيزنطية إمتدادا للامبراطورية الرومانية كما أن التاريخ البيزنطي ليس إلا مرحلة جديدة من التاريخ الرماني ، لقد إعتبر الإمبراطور البيزنطي نفسه حاكما رومانيا وخليفة القياصرة الرومان ووريثهم في ملكهم وحرصت الدولة البيزنطية على صلتها بروما القديمة وإزداد تعلقها بالتراث الروماني ولكن على الرغم من ذلك فقد أخذت بيزنطة تبتعد شيئا فشيئا عن العالم الروماني من خصائص ومميزات إذ غلبت عليها الحضارة واللغة اليونانية وإزداد تأثير الكنيسة اليونانية في الحياة البيزنطية وأصبح هذا القسم من العالم الروماني (وهو القسم الشرقي) يونانيا شرقيا في لغته وثقافته وكنيسته وكان القسم الاخر من العالم الروماني لاتينيا غربيا في لغته وحضارته وكنيسته،أنظر محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،1994، ص 10.

[3] محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ الى الاستقلال ، مرجع سابق ،ص34.

[4] نفسه ،ص 35-36.

أما في شمال تونس فقد حافظت المنطقة على نوع من الإزدهارفكانت خراتها محل إعجاب الفاتحين العرب الأوائل الذين قضوا على الوجود البيزنطي في هذه المنطقة[1].

2) الفتح الإسلامي لتونس

لقد تمكن العرب من فتح مناطق المغرب ومن بينها تونس فتذكر بعض المصادر أن عملية الفتح الحقيقي بدأت منذ عهدعقبة ابن نافع الفهري[2] كما أن هؤلاء العرب وجدوا صعوبة كبيرة أثناء فتحهم اهذه الأقطار نتيجة المقاومات العنيفة التي خاضوها ،وصل عقبة بن نافع الى إفريقية على رأس جيش قوامه 10 ألاف مقاتل[3] وبنى هناك مدينة القيروان[4]،وظل عقبة إبن نافع حاملا لراية الإسلام فكانت حادثة تهودة قد أودت بحياته وجميع من خرج معه من أصحابه الفاتحين[5].

[1] محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ،ص37.

[2] وهوابن خالة عمروابن العاص ،ولد في أوائل الهجرة النبوية فاعتبر لذلك صحابي المولد، وتولى إمارة جيش إفريقية مرين المرة الاولى سنة50-55هـ،والمرة الثانية من 60-64هـ، وذلك في عهد معاوية إبن أبي سفيان وإبنه يزيد وهومؤسس مدينة القيروان ،أنظر الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب ،تق، محمد زينهم محمد عزب ،دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، ،دن ،1994،ص 41.

[3] نفسه ،ص39.

[4] مدينة القيروان أسسها عقبة إبن نافع الفهري وهي تقع في وسط البلاد التونسية تبعد 160كلم عن مدينة تونس ،ومسافة 57 كلم عن مدينة سوسة كانت هذه المدينة في بادئ أمرها قاعدة عسكرية ونشأت كنتيجة لهذه الخطة الإستراتيجية النابعة في غضون تضاريس البلاد ومن أصول التقنيات القتالية التي إختارها الفاتحون وتم بناءها على عدة مراحل ويُذكر أنها إستغرقت أربعة سنوات فكانت أرضها خصبة وبها غابة من الزيتون التي تكفي لوحدها لسد حاجة البلاد كاملة للخشب فكانت هذه المدينة حقيقة ماتمناه مؤسسها وهو أن يعز الله بها دينه الى أخر الدهر، أنظر محمد الطالبي ،دائرة المعارف التونسية ، مرجع سابق ، ص:137،144.

[5] نفسه ، ص145.

وهكذا ظلت تونس بعد الفتح العربي يحكمها ولاة من قبل خلفاء دمشق وبغداد حينا من الدهرحتى تمكن أهلها من الإستقلال فقامت بها دولة بني الأغلب (184-269هـ) على يد مؤسسها إبراهيم إبن الأغلب[1]،فكانت الدولة الأغلبية دولة عربية مسلمة كان منهجها في الحكم إدماج البربر مع العرب فكانت بذلك المثل الأعلى لعظمة الدولة الإسلامية[2] .

وفي أواخر الدولة الأغلبية إنتشرت في المغرب دعوة العبيديين أو الفاطميين فإنضمت لها العديد من القبائل البربرية متحمسين لها وفي أحداث قيام دولة الفاطميين أن مؤسسها عبيد الله الشيعي[3] أعلن هجومه على مناطق الدولة الأغلبية وحاول أميرها وهو زيادة الله الثالث صد هذا الهجوم وذلك بإرسال ثلاث جيوش متتالية ولكن دون جدوى ودخل أبي عبيد الله مدينة الاغالبة سنة 296 هـ وهنا إنتهى حكم الأغالبة بإفريقية[4] وقيام الدولة الفاطمية وإتسع ملك الفاطميين هناك وبدأ مذهب الشيعة ينتشر بين الناس واتجهوا نحو الشرق والغرب للإستيلاء على كل من مصر والاندلس وغيرها ولكن سرعان مادب الضعف بها[5].

---

[1] هو إبراهيم إبن الاغلب بن سالم إبن عقال إبن خفاجة التميمي من مواليد القيراوان وكان رجلا فذا في العلم والسياسة وحسن التدبير وحافظا لكتاب الله وعالما به وافاه التقليد بالولاية هارون الرشيد في 184هـ فخضعت له قبائل البربر وأدانت له بالطاعة .أنظر عبد العزيز الثعالبي ،تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي الى نهاية الدولة الاغلبية، تح ،أحمد ابن ميلاد ومحمد ادريس ،تق،حمادي الساحلي ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،1990،ص 204.

[2] نفسه ،ص202.

[3] هو عبد الله الحسين إبن أحمد إبن زكريا ،أصله من الكوفة ويُعرف بالمعلم لأنه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية وإتصل بداعي الشيعة إسمه حوشب ليتعلم منه ويستفيد من مجالسه فوثق إبن حوشب من عبيد الله فأرسله الى المغرب ليكمل رسالة أبي سفيان والحلواني فكان بذلك ينقسم تاريخ الدعوة التي قام بها عبيد الله الشيعي الى مرحلتين الاولى كانت مجرد دعاية سلمية لجلب الأنصار وإستغرقت ثلاث سنوات (277-291هـ) والمرحلة الثانية وهي جهاد حربي طويل إنتهى بالإستيلاء على القيروان عاصمة الاغالبة وقيام الدولة الفاطمية سنة 297هـ،أنظر أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ، دس ،ص224.

[4] نفسه ،ص229.

[5] حسن محمد جوهر ، شعوب العالم تونس ، مرجع سابق ، ص43.

بسبب ترك البربرلها لإضطرارهم تركوا أوطانهم تحت ضغط الفاطميين وهجرتهم الى واحات الصحراء والوديان الخصبة فكان بذلك من عوامل سقوط الدولة الفاطمية[1] .

هكذا عرف المغرب الإسلامي عموما والقطر التونسي على وجه الخصوص قيام العديد من الدويلات الإسلامية وصولا لدولة الموحدين التي أسسها محمد إبن تومرت[2]وبعد أن إحتل الخليفة الموحدي المغرب الاقصى وتلمسان والمغرب الأوسط حيث سحق بالخصوص القبائل الهلالية[3] التي إعترضت طريقه وبدأ بغزو إفريقية وأخضع القبائل بها لسلطانه فوحدها (إفريقية) وجعلها مقاطعة تابعة له ، وجعل بتونس واليا و رجال الدين من الموحدين [4]، فكانت هذه الدولة حقيقة قوية مترامية الأطراف وعرفت في عهد الخلفاء الأوائل حياة إقتصاية مزدهرة ناتجة عن تشجيع هؤلاء الخلفاء لممارسة مختلف الأنشطة الإقتصاية فعرفت الحياة رخاءا إقتصاديا كبير[5]، فعرفت هذه الدولة كسابيقيها صراعا داخليا من أجل السلطة بين أبناء الأسرة الحاكمة كان هذا الصراع من العوامل الرئيسية التي قوضت ولة الموحدين وحطمت كيانها[6].

---

[1] حسن محمد جوهر ، مرجع سابق ، نفس ص43.

[2] عبد الواحد المراكشي ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،، تح ،محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤوون الإسلامية ،الجمهورية العربية المتحدة ، دس ، ص261.

[3] نسبة الى هلال إبن عامرإبن صعصعه إبن معاوية إبن بكر إبن هزان إبن منصوركان أول موطن لهم جبل زغوان عندا الطائف ثم إنتقلوا بعد ذلك بصحبة القرامطة الى البحرين وعمان ثم كان نقلهم من طرف العزيز الفاطمي الى الصعيد بالعدوة الشرقية للنيل مع بنو سليم ،ثم أجازوا النيل بأمر من المستنصر الفاطمي الى افريقيا فنزلوا ببرقة سنة 443 هـ ثم تقمدموا لسائر المغرب ،أنظرين فريحة عبد المالك ، القبائل العربية ومكانتها في الدولة الزيانية ، مذكرة مقمة لنيل شهادة الماجستيرفي التاريخ والحضارة الإسلامية ،كلية العلوم الإنسانية والإسلامية ،قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران أحمد بن بلة ، الجزائر ،2014-2015،ص8.

[4] محمد الهاي الشريف ،مرجع سابق ،ص52.

[5] صديقي عبد الجبار ، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ، الجزائر ،2013-2014،ص54.

[6] نفسه ، ص 100.

لتعرف منطقة المغرب الإسلامي قيام دولة الحفصيين على يد أبو زكريا إبن عبد الواحد الحفصي[1] الذي أعلن إنفصاله عن المغرب الأقصى سنة (626هـ-1228م) مستقلا بحكم المغرب الأدنى الذي كان يسمى عند المؤرخين المسلمين بإقليم إفريقية وكان يشمل مدن عديدة منها (تونس ، طرابلس ، بجاية ، قسنطينة)[2].

فإستطاع الأمير أبو زكريا أن ينهض بهذه الدولة في فترة وجيزة بعد أن قضى على جميع خصومه ووسع ملكه فإستولى في سنة (662هـ-1228م) على مدن قسنطينة وبجاية وتلمسان[3]، فأقام الكثير من المشاريع العمرانية التي مايزال بعضها قائما الى اليوم في تونس مثل جامع القصبة وسوق العطارين والمدرسة الشماعية، وعرفت هذه الدولة علاقات تجارية كبيرة للمدن المطلة على البحر الأبيض المتوسط وبسبب تلك العوائد أصبحت الدولة الحفصية دولة حضارية وذات سيادة قوية[4] ومأأهلها لذلك هي تنظيماتهم الداخلية حيث برعوا في النظم الإدارية وتميز النظام القضائي عندهم بالإستقلال والعدل[5] .

---

[1] هو يحي بن عبد الواحد إبن أبي حفص الهنتاني الحفصي أبو زكريا ،أول من إستقل بالملك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية بتونس ،ثار على أخية عبد الله ،وإستمال إليه الجند فتغلب على الملك سنة 625 هـ ،فكانت الخطبة لبني عبد المؤمن (أصحاب مراكش) فقطعها وإستقل بدولته سنة 626هـ وخطب لنفسه ،وخدم العلم أنشأ المدارس والمساجد وجعل لها الأوقاف كما أنشأ دار الكتب وجمع بها 36000 مجلدا ،أنظر خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج8، ط5، دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان،2002، ص155.

[2] عبد الله انبية المعلول ، هجرة بعض العلماء اللبيين الى تونس في العهد الحفصي الاسباب والنتائج ، مجلة الجامعة المغاربية ، ع 1 ،طرابلس الجمهورية العربية اللبية الشعبية ،2007،ص11.

[3] عبد الرحمان إبن خلدون ،ديوان المبتدأوالخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج6 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ،2000، ص595.

[4] عبد الله انبيه المعلول ، المرجع السابق ، ص12.

[5] جميلة مبطي المسعودي ، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها 621هـ حتى سنة 893هـ ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجسيرفي التاريخ الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،2000،ص11.

فكانت المحاكم الشرعية عندهم تنظر حتى في جرائم الملوك وأبنائهم وغيرها من المؤهلات[1]، إستطاعت حمل لواء الدفاع عن الإسلام مدة من الزمن ، لتشهد هذه الدولة في أواخر عهدها فترات من الإضطراب السياسي كانت البلاد فيها مسرحا للكثير من الثورات والفتن الداخلية والتدخل الخارجي مما ساعد على تدهور الوضع السياسي في المنطقة فوصل الضعف بالأسرة الحفصية الى التحالف مع الإسبان وتوقيع معهم معاهدات تعطي لهم إمتيازات في تونس[2] فكانت نهايتهم على يد الأتراك العثمانيين سنة (981هـ-1573م)[3].

3) تاريخ تونس الحديث

هناك من المؤرخين من يرى أن تاريخ تونس الحديث يبدأ منذ أن ضُمت الى العثمانيين[4] في سنة (981هـ 1573م) إذ إستطاع القائد سنان باشا الإستيلاء على الحصون وإعتقل محمد الحفصي الذي إستنجد بالإسبان وأرسله الى الإستانة أين توفي هناك ،وبذلك إنتهى عصر الدولة الحفصية التي حكمت تونس مايقارب ثلاثمائة وخمسين عاما[5]. منذ أن قدم سنان باشا الى تونس وضع نظاما لحكمها قوامه حاكم مدني وهو الوالي[6]

---

[1] جميلة مبطي المسعودي ، المرجع السابق ، نفس ص11.

[2] شوقي عطاالله الجمل ،المغرب العربي الكبير من الفتح العربي الى الوقت الحاضر ليبيا ، تونس ،الجزائر ، المغرب الأقصى ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ،2000 ص105.

[3] عبد الله انبيه المعلول ، المرجع السابق ،نفس ص 12.

[4] إختلف المؤرخون حول نسب العثمانيين فمنهم من يرى أنهم ينتمون الى الحجاز وأن جدهم عثمان فرمن قرمان وكان شجاعا قويا وصار في خدمة السلاجقة فسار على طريقتهم وتكلم لغتهم وصار له أعوان وأتباع وعساكر وذكر بعض المؤرخين أن أصل العثمانيين ينتمون الى أبي مسلم الخرساني وينتسبون اليه ،وقيل إن آل عثمان أصلهم من الجراكسة من أولاد يافث ابن نوح بينما يذهب قسم من المؤرخين الأتراك يؤكدون أن النواة الأولى للدولة العثمانية (عنصر غزي) أي تركماني لايختلف عن أغلبية الترك الذين وفدوا مع السلاجقة ،أنظر اسماعيل أحمد ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، ط2 ،مكتبة العبيكان ،دن ،1998، ص11.

[5] اسماعيل أحمد ياغي ،و محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ،ج2 ، دار المريخ للنشر ،الرياض، المملكة العربية السعودية ،1993،ص93.

[6] نفسه ،نفس ص93.

ولقب بالباشا يمثل السلطان العثماني على أن يساعده ديوان إستشاري مكون من ضباط عسكريين وموظف أخر يدير شؤون المالية ، بحيث كان من المفروض أن هذا النظام يتكون من عناصر يوازن بعضها البعض مما يساعد على بقاء الدولة العثمانية مستقرا في البلاد لكن الأمور تطورت على غير مايظن[1]،وذلك لأن أحد البايات وهو مراد باي[2] سيطر واستأثر بشؤون على تونس وورث الأمر من بعده لأبنائه فأسست بذلك أسرة حاكمة في تونس وهي الأسرة المرادية (1637-1702م) [3]وقام بايات هذه الأسرة بعدة مشروعات عمرانية من بناء المساجد والمدارس ولكن كثر النزاع بين أفراد الأسرة ذاتها على الحكم واستنجد فريق من المتنازعين بالجزائريين فإنتهزوا الفرصة للتدخل في شؤون تونس وقد خلقت هذه المنازعات الكثير من أعمال التخريب في المدن التونسية فمنذ هذا التدخل من طرف دايات الجزائر انتقل الحكم الى شخصية إختارها أعيان ووجهاء تونس عام 1705م [4]وهو حسين باي[5] وإستطاع أثناء فترة حكمه التي دامت خمس وثلاثين سنة من إصلاح شؤون البلاد فإنتشر العمران في تونس ونشطت الفلاحة والصناعة والتجارة وتأسالمنشأت العلمية وغيرها ولم يكن الوحيد من البيت الحسيني الذي يشهد لهم تاريخ تونس بالمأثر الحسنة[6].

---

[1] اسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ،ص 94.

[2] وهو مراد كورسو وهوومملوك من أصل كورسيكي أسر صغيرا وأتي به الى تونس أحد البايات وهو رمضان باي ورباه ودربه على قيادة المحلة فكان يجوب الأرياف في مواعيد منتظمةليستخلص الضرائب ثم أنه بعد موت سيده وبعد أن تخلص من منافسيه وجد نفسه متقلدا لرتبة باي وكانت تجعل تحت تصرفه قوات عسكرية وحصيلة الضرائب المستخلصة من المقاطعات مع أنه بقي رغم ذلك تحت إمرة الداي صاحب الأمر والنهي على الصعيد المركزي وهو مؤسس الأسرة المرادية في تونس عام1637 م أنظر محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق ،ص77.

[3] شوقي عطاالله الجمل ، المرجع السابق ، ص 107.

[4] Azzedine Guellouz;Histoire Gènèral de la Tounisie,sud Ed,tounis,2010,p,185.

[5] وهو حسين بن علي وهو أول البايات الحسينيين ومؤسس الأسرة الحسينية في تونس عام 1705م لتحكم هذه الأسرة مدة قرنين ونصف في تونس وعرفت باسلالة الحسينية الى قيام الجمهورية التونسية سنة 1956م ،أنظر مفيد الزيدي ، التاريخ العربي بين الحداثة والمعاصرة ، دار أسامة للنشر والتوزيع ،الأردن ،عمان ،2011.ص232.

[6] الحبيب ثامر ،هذه تونس ، مرجع سابق ،ص20.

الفصل الأول

الدوافع الخارجية لإحياء العلاقات التونسية الفرنسية خلال فترة الإصلاح

أولا:حركة التنظيمات في الدولة العثمانية

ثانيا: حركة التنظيمات في مصر في عهد محمد علي باشا

ثالثا:مظاهر العلاقات التونسية الفرنسية خلال فترة الإصلاح التونسي

أولا : حركة التنظيمات في الدولة العثمانية .

1) بداية التنظيمات العثمانية

لقد عرفت الدولة العثمانية حركة من التنظيمات والتي كانت مقتبسة من العديد من الدول الأوربية وخاصة من فرنسا ،كما كانت وراء هذه الحركة التنظيمية عوامل داخلية تمثلت في دب الضعف والتدهور داخل الدولة العثمانية ، وأخرى خارجية تمثلت في ضغط الدول الأوربية على الدولة للأخذ بنهج التنظيم،فبهذه العوامل زاد التأثر بالدول الأوربية التي كانت في أوج القوة أنذاك ،ويرجع ذلك بسبب تقدم العلوم والمعارف بها وحدث بها الانقلاب الصناعي[1] ،فكان هنا من الطبيعي أن تتجه الرغبة في اصلاح الدولة العثمانية نحو الجيش أولا لأن مظهر الضعف العثماني كان حربيا فلما ألت مقليد الحكم الى السلطان محمود الثاني[2] اتخذ طريق الاصلاح العسكري بخطى ثابتة [3]،وان المؤسسة العسكرية كانت هي أولى درجات الاهتمام انطلاقا من معاينة وجه المقارنة الصارخة بين ما آلت اليه الجيوش العثمانية من جهة وما أضحت عليه الجيوش النظامية الأوربية من جهة ثانية من حسن تنظيم وتدريب.[4]

---

[1] ارتبط التطور الصناعي في أوربا بالتطور الميكانيكي وذلك لان الاختراعات الميكانيكية المعتمدة على الطاقة المحركة كان من الطبيعي أن تؤثر على الصناعة وتحدث فيها ثورة قفزت بالانتاج الى مستوى لم يسبق له مثيل في التاريخ الأوربي ،أنظر عبدالعظيم رمضان ،تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوربية الى الحرب الباردة،ج2،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دس،ص69.

[2] تولى محمود الثاني الحكم سنة 1808م وعمره 24 سنة كان متحمسا للاصلاحات العثمانية وأمر بها في كثير من الإيالات العثمانية في مجال التعليم والصحو وغيرها،أنظر غانية بعيو،التنظيمات العثمانية وأثارها على الولايات العربية 1839-1876م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،2008-2009،ص23.

[3] اسماعيل أحمد ياغي ،الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث ، مرجع سابق،ص:140.

[4] وجيه كوثراني ،التنظيمات العثمانية والدستور بواكير الفكر الاصلاحي نصاوتطبيقا ومفهوما ، مجلة تبين ،ع3، 2013، ص142.

ففي هذا الصدد استعان السلطان محمود الثاني بضباط انجليز لتدريب القوات البحرية وبضباط ألمان لتدريب القوات البرية والى جانب ذلك أنشأ هذا السلطان أكاديمية للعلوم العسكرية وعدد من المدارس العسكرية العالية والثانوية والاعدادية [1].فقد أصرعلى تكوين جيش جديد على الطراز الأوربي الحديث ،وأطلق عليه اسم العساكر المنصورية المحمدية فصنف بذلك من الأوائل الذين انشاء جيش عثماني بصبغة أوربية وذلك بادخال التمارين العسكرية الغربية وغيرهامن النظم الحديثة الأوربية في المجال العسكري ،فقد عرفت هذه التنظيمات عدة جوانب أخرى في عهد السلطان محمود الثاني ،فقد أنشأ مدرسة للطب في استنبول وكان التدريس بها باللغة الفرنسية ،وأرسل البعثات العلمية الى أوربا وهومن أنشأنظام الحجر الصحي .[2] كما أوجد نظاماجديد للبريد ووسع نطاق الشرطة الوطنية ووزع على الرعية منشورات ومطبوعات تحوي معلومات عن الأمراض المعدية وطرق الوقاء منها وأمر رعيته حتى بارتداء الزي الأوربي والذي قوبل بمعارضة شديدة ولم يستطع السلطان محمود الثاني فرض هذا الجانب الا على رجال الدولة.[3] كما يرجع له الفضل في انشاء عددا معتبرا من الوزارات الحديثة (كوزارة الداخلية ووزارة المالية) وعلى رأسها الصدر الأعظم [4]،كما يرجع له الفضل في انشاء ترجمة (أودي سي) أي ادارة الترجمة التي تحولت بعد ذلك الى وزارة الخارجيةوبفضلها خرج العديد من مشاهير الدولة العثمانية ومن أسباب تفوقهم احتكاكهم برجال السياسة الأوربيين خلال عملهم.[5]

---

[1] اسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق ،ص:142.

[2] ماري ملز باتريك ،سلاطين بني عثمان، مكتبة الاسكندرية ، دن،1986،ص:31.

[3] اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق،90.

[4] الصدر الأعظم :هو رئيس حكومة السلطان والموظف الأول في الدولة العثمانية وهو رئيس مجلس الوزراء بعد الاصلاحات العثمانية،أنظر نيل الكسندروفنادولينا ، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر،تر،أنور محمد ابراهيم،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2002،ص:175.

[5] عبد العزيز سليمان فواز، تاريخ الشعوب الاسلامية ،دار الفكر العربي ، دن،دس،ص:163.

وفي مجال القضاء أسس السلطلان محمود الثاني المجلس الأعلى للقضاء الذي كلف باعداد القوانين وعرف باسم (والي الاحكام العدلية)[1]. كما نجد أنه أعاد تنظيم ادارة الولايات في االعاصمة وفي مراكز الولايات فأصبح الولاة يعينون من قبل السلطان .وبالتالي نجد أن الاصلاحات التي قام بها محمود الثاني مست تقريبا جل ميادين الدولة العثمانية لتصل الى ترقية مستوى العبيد الذين كانوا يملأون دور السلاطين .[2]

2)التنظيمات العثمانية في عهد السلطان عبدالمجيد الأول

بعد وفاة السلطان محمود الثاني عام 1839م إعتلى العرش السلطان عبد المجيد الأول[3] (1839-1861م) مكان في عهده معنى الاصلاح المطلوب اقامة دولة راشدة تحترم القانون وتعامل رعاياها على قدم المساواة وكان معنى الإصلاح المنشود من إزالة الفوارق والمزاياالتي تميز فرقا من رعايا الدولة على فريق أخر وتم في نهاية الأمر انشاء الحكومة الذاتية المسؤولة التي تشترك فيها كل القوميات المختلفة في أنحاء الدولة العثمانية .[4] ونجد هنا أن القصد من الاصلاح المساواة بين أهل الذمة والمسلمين واعطائهم كافة الحقوق التي للمسلمين وكان وراء هذا الاصلاح وتطبيقه كما ذكرنا سالفا ضغط من قبل بعض الدول الأوربية وعلى رأسهم بريطانيا التي عملت من خلال سفيرها في استنبول على الاصرار لضرورة هذا الاصلاح وهو اصلاح كان متعارضا في أساسه مع نظم الحكم والادارة التي درجت عليها الدولة منذ نشأتها .[5]

---

[1] عبد العزيز سليمان فواز، المرجع السابق ،ص165.

[2] ماري ملز باتريك ، المرجع السابق، ص44.

[3] تولى عبد المجيد الأول الحكم خلف أبيه (1839-1860م) واجه أثناء فترة حكمه العديد من المشاكل ،منها هزيمة القوات العثمانية في معركة نصيبين ، كما شهد عهده مشاكل طائفية خاصة بين الدروز والموازنة، أنظر اسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ،ص133.

[4] اسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ،ص151.

[5] نفسه ، ص154.

وعلى العموم فقد استندت حركة الاصلاح والتجديد العثماني الى مرسومين سلطانيين أساسيين وهما **خط شريف كلخانة وخط همايون**[1]،الأول كان في الثالث من نوفمبرعام 1839م وفي ظل احتفال مهيب وذلك بحضور ممثلين من كل الطبقات والسفراء الأجانب أعلن السلطان عن مرسوم **خط كلخانة** هذا البيان كان قد فتح عهد جديد في تاريخ الدولة العثمانية[2] والواقع أن هذا المرسوم كان أول عهد دستوري للدولة العثمانية كان قد وضع قواعد الاصلاح على المبادئ الاوربية ،كما كان من بعد اصدار هذا المرسوم انطلاق سلسلة من التدابير والاعلانات والاصدارات التنظيمية والقانونية[3] اذ ساعد أيضا على نشر التقاليد البرجوازية في حياة المجتمع العثماني ، كما أعلن مرسوم (كلخانة) بصورة واضحة عن حرمة حياة وشرف وممتلكات رعايا السلطان ومساواتهم أمام القانون سواء كانوا من المسلمين أوغيرهم ،وسموالقانون على ارادة السلطان وغيرها، لنجد في نفس الوقت هذا المرسوم يؤكد على أن عدم الانقياد الى الشرع الشريف كان السبب فيما أصاب الدولة خلال القرون الماضية من تدهور وضعف وأن المقصود من وراء هذا الخط احياء الدين و الملة فبعد أن ساوى بين المسلمين وغيرهم القى الخطوة الأولى وهي فرض الخدمة العسكرية على غير المسلمين كذلك ساوى هذا المنشور بين مختلف الطوائف في فرض الضرائب أمام القانون بصفة عامة.[4]

---

[1] المرسومين خط شرف كلخانة وخط همايون صدرا اثناء التنظيمات الخيرية في الدولة العثمانية عام 1839م وهما عبارة عن قانونين أساسيين من جملة الاصلاحات العثمانية في القرن التاسع عشر والتي تقضي أساس بتعويض الانكشارية بالجند النظامي وغيرها من أمور الاصلاح ،أنظرمحمد الحبيب بن خوجة ،شيخ الاسلام الاكبرمحمد الطاهر بن عاشور،ج2،الدار العربية للكتاب ، تونس ،2008،ص43.

[2] نينل الكسندروفنادولينا ، المرجع السابق ،ص109.

[3] اسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق ، ص153.

[4] عبد العزيز سليمان فواز، مرجع سابق ، ص168.

كما ركز هذا المنشور على تحديد مرتبات موظفي الدولة العثمانية وعلى منع شراء المناصب ،ومن القوانين التي صدرت عقب هذاالمرسوم هي قوانين جنائية وقضائية ومدنية وظهرت المحاكم على مختلف أنواعها ، كما صدرت فرمانات بتأسيس بنك الدولة والأوراق النقدية وانشاء جامعة عثمانية .[1]

وفي الأخير أدى اصدار هذا المرسوم الى ردود فعل قوية خاصة بين المسلمين حيث اعتبروا أن المرسوم مناف للقرأن وأن المساواة مع غيرالمسلمين من شأنها أن تثير القلائل بين رعايا السلطان والتي أدت لعدة تمردات[2].

أما المرسوم السلطاني الثاني الذي تستند اليه الحركة التنظيمية العثمانية ألاوهو خط شريف هيمايون الذي صدر بتاريخ 18 فيفري عام 1856م وهو الخط الذي عرف بمنشور التنظيمات الخيرية[3].بحيث ركز هذا المرسوم على المساواة بين الجماعات والطبقات في رعايا الدولة العثمانية وزاد التفاصيل المتعلقة بحقوق المسيحيين[4] والتنظيمات الادارية الجديدة ، فالبسبة للمسيحيين تقرر تشكيل مجالس مخصصة لتحديد رواتب رجال الدين ،وكفل لهم حرية العبادة وبناء المدارس الخاصة بهم ،كما أكد هذا المرسوم حق الدولة في تجنيد المسيحيين[5]كما كفل للاجانب حق امتلاك العقارات وفق شروط معينة ، كما كان من أهم ضروب الاصلاح التي وعد بها منشور التنظيمات الخيرية تمثيل الطوائف الغير اسلامية في المجالس المحلية في القرى والأقاليم [6]

---

[1] عبد العزيز سليمان فواز، المرجع السابق ،ص170.

[2] اسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق ، ص155.

[3] نفسه ، ص:156.

[4] وجيه كوثراني ، مرجع سابق ، ص3.

[5] عبد العزيز سليمان ، المرجع السابق ، ص175.

[6] اسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق،ص 157.

وفي مجالس القضاء الاعلى ثم التعهد بالقضاء على مساؤئ الادارة ومحاربة الرشوة وغيرها من ضروب الاصلاح التي تكفل بها هذا المنشور والمستمدة من المبادئ الاوربية.[1]

3) التنظيمات العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز

في سنة 1861م كانت الدولة العثمانية تحت حكم السلطان عبد العزيز[2]وكانت الدولة قد اتخذت خطوات معينة لتنفيذ الاصلاح على المبادئ الاوربية كوقت سابق،وعندما كاد هذا السلطان يعتلي العرش حتى أكد عزمه على مواصلة السير في الطريق الذي سلكه أبيه محمود الثاني وأخيه عبد المجيد الأول ،فأبقى كل أصحاب المناصب من المتكلفين بتنفيذ الاصلاحات[3] .وكانت الدولة العثمانية أيام هذا السلطان مترامية الأطراف بقيادة جيش عثماني الذي أصبح يماثل الجيوش الاوربية ولا يقل عنها شأنا لانه كان محل اهتمام السلطان عبد العزيز وخاصة القوة البحرية فيه بحيث ابتاع خمسة عشر سفينة حربية من السفن الكبيرة ليصبح الاسطول العثماني أقوى من الأسطول الانجليزي والفرنسي أنذاك.[4] نشأء في عهد هذا السلطان مجلس الشورى في الدولة العثمانية وبعض الجمعيات الأدبية المتأثرة بالأفكار الغربية .[5]

---

[1] اسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص157.

[2] تولى السلطان عبد العزيز الحكم (1861-1876) هو أحد السلاطين العثمانيين الذين تبنوا الاصلاح عرفت الدولة العثمانية في عهده اصلاحات مست جميع الجوانب ، نفسه ،ص157.

[3] نفسه ، ص 158.

[4] ماري ملز باتريك ، مرجع سابق : ص:44.

[5] محمد خير فلاحة ،الخلافة العثمانية من المهد الى اللحد ، دن، 2005، ص68 .

كما كان من أهم اصلاحاته أيضا فيما يخص الجانب الاداري صدور قانون الولايات عام 1864م وبموجبه قسمت الدولة العثمانية الى ولايات وكل ولاية الى صناجق (ألوية) وكل صنجق الى أقضية (جمع قضاء) وكل قضاء الى مديريات[1] كما كان يراس كل ولاية والي وهو يخضع مباشرة الى الباب العالي[2]،

وأما الصنجق أو اللواء فيحكمه مايدعى بالمتصرف والقضاء يحكمه قائمقام وهو نائب المتصرف والمديرية يحكمها مدير .واما عاصمة الولاية توجد اداراتان رئيسيتان ادارة مدنية برئاسة الوالي[3] والادارة المركزية القضائية برئاسة قاضي القضاة أو رئيس الهيئة القضائية.وفي مجال الادارة أيضا أنشئت محكمة عليا قضائية (ديوان الاحكام العدلية) كما تم انشاء عام 1868م مجلس للدولة على النسق الفرنسي سمي(شوراي دولت) أي مجلس شورى الدولة وكان من أهم اختصاصاته مناقشة الميزانية.[4]

أما في مجال التعليم فقد اسست مدرسة ثانوية عام 1868م كان برنامج الدراسة فيها أكيد على النمط الاوربي.[5]ومختلف عن برامج التدريس الاخرى وكانت كل المواد التي تدرس فيها باللغةالفرنسية فيما عذا اللغة التركية وكانت الغاية من انشائها هي تخريج فئة من الشباب القادر على حمل عبئ الوظائف العامة وكان هئلاء الشباب من العثمانيين ومن مختلف الديانات[6] .

---

[1] اسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ،ص157.

[2] الباب العالي هو الاسم الرسمي لحكومة الدولة العثمانية ،أنظر الكسندوفنادولينا ،مرجع سابق، ص174.

[3] اسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق ، ص 160.

[4] نفسه ، ص161.

[5] اسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص 162.

[6] نفسه ، نفس الصفحة 162.

ثانيا) حركة التنظيمات في مصر عهد محمد علي باشا

1) المظاهر العسكرية

تعد حقيقة المشروع النهضوي الذي شهدته مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان اول من أرسى دعائمه هو محمد علي باشا[1] وهذا المشروع كان يهدف الى تحويل مصر لقاعدة سياسية وعسكرية حديثة تدفع عن الشرف العربي عدوان الغرب، وذلك بطريق التزود بأسباب المنعة التي تحقق نوع من التوازن مع قوى الغرب ورأى أنه لايصلح ذلك الا بسد فجوة التخلف الحضاري التي تعاني منها البلاد.[2]

كما كان لتحقيق هذا المشروع الطموح بحاجة الى موارد مالية ضخمة لايستطيع الحصول عليها من خارج مصر وهو الحريص على تجنب النفوذ الأجنبي فلا ملجأ الا أن يدبرها من مصر ذاتها، لذا اهتدى الى رسم نهج اقتصادي قوي يحقق مشروعه فقد نجح في احتكار ثروة مصر ووظف عائداتها في بناء دولة قوية[3]، وبناء جيش نظامي حديث وقوي على النهج الاوربي جاعلا من مصر مركز امبراطورية حققت النجاح اعتمادا على مواردها الذاتية[4].

---

[1] ولد محمد علي باشا شمال اليونان عام 1799م ،من أسرة ألبانية :ان أبوه المدعوابراهيم اغا يشتغل رئيس خفر الطرق في بلده وأمه فلم يرد اسمها بفضل العادات الشرقية التي كانت سائدة بحيث تأبى المرأة أن يعرف اسمها خارج بيتها ،ويعتبر محمد علي باشا مؤسس الاسرة العلوية وينسب اليه اسم مؤسس مصر الحديثة ،انظر الياس الأيوبي ،محمد علي سيرته وأعماله وأثاره، ادارة الهلال ، مصر ،1923،ص13.

[2] رؤوف عباس أحمد ،تاريخ جامعة القاهرة،دار النشر الالكتروني ،دن ، 1987،ص13.

[3] نفسه، ص15.

[4] يوجين روجان ، العرب من الفتوحات العثمانية الى الحاضر ،تر، محمد ابراهيم الجندي ، مدينة نصر القاهرة،2011،ص93.

لقد أدرك محمد علي باشا بمجرد أن تسلم زمام الحكم في مصر أنه لابد من ادخال النظام الحديث في القوة العسكرية البرية والبحرية ولتحقيق هذا الغرض بدأ في حشد الجند من عدة فئات حتى من خارج مصر،فاستدعى بذلك ضباط فرنسيين. لتدريب الجند وتكوينهم على النظام المتبع في الجيوش الفرنسية[1].وفي هذا الصدد فتح المدارس العسكرية أنشأالمعامل المختلفة الخاصة بالصناعات العسكرية وبلغ هذا النظام غايته في حدود سنة 1839م واستمرت زيادة الجيوش لتصل الى 286،000عام 1839م،وهي مقسمة حسب تخصصات منها النظامية والغير نظامية بما فيهم عمال مصانع مدربون وغيرهم[2].أما في مجال البحرية فقد عهد محمد علي باشا لاحد المهندسين الفرنسيين بإنشاء ترسانة بالاسكندرية ،وانطلق هذا العمل بواسطة فرق مخصصة من العمال باشراف مهندسين أوربيين وتكونت بذلك البحرية المصرية وصار لها أسطول حديث يضاهي أساطيل أوربا[3].

وفي الجانب العسكري دائما أنشأمحمد علي مدارس عسكرية خاصة بالبحرية وكانت معظمها في الاسكندرية لاعداد الجند للأسطول ،كما كانت هناك مدارس للتدريب العملي على ظهر السفن.[4] كما هوالحال في الصناعات الحربية فاطلق العنان لبناء مصانع خاصة بالجيش والمخازن للسروج واللجم[5] .

---

[1] عمر طوسون ،صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي الجيش المصري البري والبحري ،ط2، مكتبة مدبولي ،القاهرة،1996،ص4.

[2] محمد صبري ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم، دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1926،ص 464.

[3] نفسه ،ص476.

[4] جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي، دار الفكر العربي ، مصر ،1951، ص 31.

[5] عمر طوسون ،المرجع السابق ،ص16.

كما تم إستحداث مصنع للأسلحة الخفيفة وهويصنع أسلحة في غاية الاتقان،وهو مارواه أحد الشاهدين على ذلك انه زار مصنع القلعة بمصر فتأمل فيما يصنع فيه بعناية فوجده يحاكي مصانعهم بفرنسا من حيث الاتقان والطراز الفرنسي[1] .

بحيث تتخذ فيه جميع الخطوات للتحقق من نوع الاسلحة وجودتها فهوباختصار مصنع محكم جيد المصنوعات مدار بطريقة اقتصادية كأحسن المصانع في فرنسا ،ويوجد مصنع أخر للاسلحة مشيد على بضع خطوات من القلعة يدار برئاسة ضابط ايطالي[2] فكانت تنتج في هذه المصانع 36،000 بندقية ومايحتاج اليه الجيش من أسلحة [3] .

وفي اطار المشروع الاصلاحي لمحمد علي باشا لم يتغافل عن ارسال البعثات العلمية ذو الطابع العسكري الى الدول الأوربية فكان من بين ذلك بعثة عام 1848م التي ضمت سبعين طالبا اختيروا من المدارس العسكرية المصرية واعدت لهم فرنسا دراسة خاصة في اللغة الفرنسية لتأهيلهم أكثر في المدارس العسكرية عند رجوعهم .[4]

2) المظاهر الاقتصادية.

ففي المجال الاقتصادي حرص محمد علي باشا على اقامة البنية التحتية والاقتصادية لدعم طموحاته المتمثلة في التنظيمات التي عرفتها مصر في عهده فتطورت مصر زراعيا وذلك ببناء نظم ري حديثة كفيلة للنهوض بالجانب الزراعي[5]

---

[1] نفسه ، ص 17.

[2] عمر طوسون ،المرجع السابق ، ص18.

[3] نفسه ،ص20.

[4] رؤوف عباس ،مرجع سابق ،ص23.

[5] محمد عبد الستار البدري ،المواجهة المصرية الاوربية في عهد محمد علي ،دار الشروق ،القاهرة، 2001، ص57.

ووضع اقتصاد البلاد تحت ادارة السلطة المركزية مما اتاح لأول مرة في تاريخ مصر أن تتبنى مايشبه خطة التنمية في القطاع الزراعي ثم أقام قطاع صناعي حديث جنبا لجنب مع القطاع الانتاجي الحرفي فأصبحت بذلك مصر جهازانتاج وخدمات اضافة الى وظائفها التقليدية[1]

وأهلها لذلك أن مصر أرض زراعية بطبيعتها والزراعة كانت أساس ثروتها فقد اعتنى بها محمد علي باشا فملك الارض بحيث وزعها على من يستحق ذلك ،فأتى حتى من الهند بالقطن ذو النوعية الجيدة وأمر بغرسه ووسع نطاق زراعته حتى في ذلك العهد عماد الثروة في البلاد.[2] وأوجد اليد العاملة من مصر وغيرها لدعم الزراعة وخدمة الغابات لاخراج محاصيلها والحصول على الاخشاب اللازمة لصناعة السفن[3]كما أنشئت عدة مصانع لانتاج الملابس بمختلف أنواعها وفتحت عدة مدارس صناعية غرضها تعليم الشباب المصري فنون الصناعة من معلمين أجانب ،كما أرسلت بعثات صناعية لأوربا الغربية لتحقيق نفس الغرض[4].ومن بين تلك المدارس ،مدرسة المعادن التي أنشئت عام 1838م ،ومدرسة العمليات والفنون والصنائع والتي انشئت من نفس السنة ،وكانت تعنى في دراستها بالناحية العلمية وحولت سنة 1844م الى ورشة صناعية وتولى ادارتها مهندسا بريطاني.[5]

---

[1] رؤوف عباس أحمد ،المرجع السابق، نفس ص12.

[2] محمد صبري ،تاريخ مصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 48.

[3] نفسه ،ص 49.

[4] جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي ، مرجع سابق ، ص28.

[5] نفسه ، ص 30.

وأدخل في اطار الصناعة حوالي خمسة عشر معملا لغزل القطن والتي كانت تنسج حوالي مليوني قطعة من القماش في السنة.[1] وتشجيعا لقطاعه الاقتصادي أنشأمحمد علي باشا الجسور والاحواض المائية الكبيرة للاستفادة منها في الزراعة وشرع في بناء ذلك مهندسين فرنسيين[2].

3) المظاهر العلمية والثقافية

وفي الجانب العلمي والثقافي نجد أن تاريخ مصر في عهد المصلح محمد علي باشا حافلا بحركة الترجمة والتأليف وهذا يعود لمجهوداته الرامية لتحقيق مشروعه النهضوي اذاتبع في هذا السبيل تلك الأساليب التي أخذ بها في انشاء الجيش والأسطول بمعنى أنه اقتبس النظم الأوربية الحديثة في نشر لواء العلم في مصر[3]،فلما رأى أن مصر تفتقد الى كوادر تعليمية في مختلف القطاعات ومنها العلمية أقام نظام تعليمي بالمعنى الدقيق الذي يدل عليه هذا المصطلح ، اذ في البداية لم يكن هناك سوى الأزهر وبعض المدارس الملحقة بالمساجد ولكنها لم تكن ذات نظام يصل فيما بينها ويجعل منها وحدة تعليمية[4] ، لذا لجأ الى تأسيس المدارس الحديثة وأخد من الحضارة خيرما أنتجته العلوم التي نهض بها في مصر نهضة كبرى كانت أساس تقدم مصر الحديث[5].

[1] محمد صبري ،المرجع السابق ، ص 57.

[2] نفسه ،ص 52.

[3] عبد الرحمان الرافعي ،عهد محمد علي ،دار المعارف ،القاهرة ،1989،ص397.

[4] رؤوف عباس أحمد ، مرجع سابق ،ص13.

[5] عبد الرحمان الرافعي ،المرجع السابق ،ص389.

وبطبيعة الحال استعان في المدارس التي أنشأها في مصر على أساتذة أوربيين وساق لها عدد كبير من الطلبة المصريين ،لكن بعد ذلك أحس بأن كل هذا لايفي بالغرض المنشود وأن البلاد مازالت في حاجة الى الاجانب من مدرسين وغيرهم،فوصل الى حل لذلك وهو أن يبعث بالشباب المصري الذين أهلتهم معاهد العلم بمصر الى أوربا ليتمموا دراستهم بها[1]، (انظرالملحق2) أما في جانب الترجمة فمحمد علي باشا أسس بنفسه قسم للترجمة ولنشر الكتب الأوربية والكتيبات الفنية في طبعات عربية[2].

واتجهت الترجمة في هذا العصر لخدمة المدارس وحتى للمنشأت الصناعية والعسكرية والادارات التي أقيمت في هذا العهد فنجد العديد من الكتب التي ترجمت الى العربية منها في مجال الطب البشري ،والطب البيطري وما يتصل بهمامن العلوم الطبيعية والكيمياء والنبات والحيوان ،وغيرها مما كان يدرس في مدارس الطب[3]،وحتى العلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة التي كانت تدرس في مدارس الهندسة والمدارس الصناعية وحتى الفنون الحربية والبحرية وما يتصل بهما من فنون الرسم وغيرها[4].

وفي نفس المجال فان الطباعة هي الأخرى كانت من ابرز مظاهر النهضة العلمية والثقافية التي لم تغفل العناية بها لإرسال محمد علي بعثة علمية خاصة الى كل من روما وميلانو للتخصص في فن الطباعة[5]

---

[1] عمر طوسون ، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم غي عهد عباس الأول وسعيد ، مطبعة صلاح الدين ،الاسكندرية 1934،ص6.

[2] يوجين روجان ، العرب من الفتوحات العثمانية الى الحاضر، مرجع سابق ،ص 93.

[3] جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي ، مرجع سابق ،ص44.

[4] نفسه ،ص45.

[5] عبد الرحمان الرافعي ،المرجع السابق، ص484.

وقد عزم من ذلك الحين على انشاء مطبعة والمعروفة بمطبعة بولاق، ومما يدل أيضا على العناية بهذا المجال وبهذه المطبعة أنه خصص مجموعة من علماء الأزهر لتصحيح مطبوعاتها (مطبعة بولاق) والتصحيح فن دقيق يبنى عليه اخراج الكتب والمؤلفات صحيحة خالية من الأغلاط المطبعية[1] لأن تلك المطبعة كانت مصدر طبع القوانين واللوائح والمنشورات الإدارية التي كان يريد محمد علي نشرها في كافة أنحاء قطر مصر[2].

وعلى العموم فكل مايتصل بهذا الجانب من تعليم وترجمة وطباعة بدأبسيطا ومنه ماكان منعدم حتى صدور لوائح التنظيم التي نظمت التعليم من مراحله الابتدائية ونظمت الادارة التعليمية[3] وحركة الترجمة والتأليف متأثرا هذا التقدم لحد كبير بالنظام الفرنسي لتصل عدد المدارس وحدها وفي مرحلة الابتدائية الى خمسين مدرسة موزعة على أنحاء مصر[4].

[1] عبد الرحمان الرافعي ،المرجع السابق ،ص 485.

[2] جمال الدين الشيال ،المرجع السابق ، ص196.

[3] رؤوف عباس ،أحمد ،تاريخ جامعة القاهرة ،كرجع سابق،ص161.

[4] نفسه ،نفس ص161.

ثالثا) مظاهر العلاقات التونسية الفرنسية أثناء الحركة الاصلاحية في تونس .

تتمثل حقيقة التاريخ التونسي في العهد الذي كانت فيه إيالة[1] عثمانية لايمكن دراسته بمعزل عن تاريخ الدولة العثمانية بصفة مطلقة كون تاريخ الايالة التونسية يمثل في الحقيقة جزء من تاريخ الدولة العثمانية كما هو وثيق الصلة به، فقد انطلقت الحركة الاصلاحية في تونس نتيجة التأثر بالتنظيمات العثمانية بل وبطلب من السلاطين العثمانيين بذاتهم بتطبيق هذه الاصلاحات في تونس[2]، وهذا يعد دليلا تاريخيا كافيا لتبعية الايالة التونسية للدولة العثمانية من جهة كما سنظهر مدى وصول العلاقات التونسية الفرنسية في هذه الفترة من جهة أخرى، كما نجد أن الباي أحمد(1839-1855م)[3] هو الذي تزعم الحركة الاصلاحية التونسية متأثرا بنموذج محمد علي في مصر أيضا.[4]

---

[1] الايالة هي أكبر وحدة ادارية عسكرية في الدولة العثمانية ،أنظر نينل الكسندروفنا دولينا ،الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية ، مرجع سابق ، ص174.

[2] اسماعيل أحمد ياغي ، تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصرقارة افريقيا ،مرجع سابق ،ص 94.

[3] تولى أحمد باي الحكم بعد وفاة أبيه سنة 1837 م وقد سمحت له الظروف أن يتقلد شؤون الجيش قبل أن يمسك زمام الحكم في تونس وذلك عندما أسند اليه والده قبل وفاته مسؤولية كل مايتعلق بالجيش في البلاد ومن يومها لبس اللباس العسكري وبدأ في تنظيم الجيش بنفسه وكان ملازما له حتى أصبح كأنه واحدا من الجنود وان هذه المسؤولية جعلته يتعرف عن قرب على مشاكل الجيش ومطالبه الملحة ومن ثم تولدت لديه أفكار التغيير والاصلاح وما ان ألت اليه المسؤولية في تونس سنة 1839م شرع في تطبيق مايمح اليه طبقا لتصوراته ومعرفته ومقدرته الى أن ينتهي حكمه سنة 1855م، أنظر عبد الجليل التميمي ، الجيش في عهد محمد الصادق باي 1859-1882، كلية الأداب والعلوم الانسانية ، جامعة صفاقس ،1995، ص49.

[4] يوجين روجان ،العرب من الفتوحات العثمانية الى الحاضر ، مرجع سابق ، ص133.

1) مظاهر العلاقات في الجانب العسكري

فمن خلال هذا العنصر سنحاول اظهار العلاقات التونسية الفرنسية في الجانب العسكري كون أن هذا الجانب كان أول مظهر من مظاهر الحركة الاصلاحية في تونس التي أخذ بها الباي أحمد والذي بدأعهده بعزيمة ثابتة على الاصلاح وهمة فائقة بوسائل التقدم وساعدته على ذلك تربيته العسكرية فقد نشأفي فترة الاصلاحات العسكرية النظامية التي أخذت بها تونس وكان قد بدأ في ولاية أبيه التنظيم العسكري النظامي وكان للباي أحمد دور كبير فيه [1]،فكانت بداية فترة حكمه بداية عهد جديد بالنسبة للتاريخ التونسي وعلاقاتها بالدول الأوربية عامة وبفرنسا على وجه الخصوص، ففي هذا المجال أنشأ مدرسة عسكرية لتكوين الضباط المعروفة باسم **مدرسة باردو العسكرية** التي تم تأسيسها عام 1840م[2]. وتعود أهمية تأسيس هذه المدرسة كونها الجانب العلمي الذي لابد منه لتكوين جيش حديث وفي ذات الوقت كان بداية التعرف على طريق التعليم الحربية في أوربا المتقدمة في هذا الشأن[3]، هذا من ناحية ويكمن تأسيسها بأنها مظهر لمحاكاة مثيلاتها في كل من الدولة العثمانية ومصر، بدأت هذه المدرسة بحوالي خمسين جندي من أبناء البلاد يتعلمون فنون الحرب نظريا وتطبيقيا ،اضافة الى علوم الدين واللغات كالعربية والفرنسية والايطالية[4]

---

[1] شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ،ليبيا ، تونس، الجزائر ، المغرب ،مكتبة الانجلومصرية ،القاهرة ،1977 ،ص288.

[2] نفسه ، نفس ص ،288.

[3] عبد الجليل التميمي ،المرجع السابق ،ص 55.

[4] نفسه ،ص 56.

فقد تداول على التدريس العديد من الضباط الأوربيين من الايطاليين وغيرهم غير أن النصيب الأكبر كان للفرنسيين وأشهرهم الضابط "كمبون" الى جانب بعض التونسيين وأشهرهم في العلوم العربية والدينية الشيخ الشاعر محمود قابادو[1]. فقد بذل الباي أحمد جهودا مضنية لانشاء جيش نظامي على الطريقة الأوربية لذلك توجه نحو أوربا يطلب مساعدتها على تكوين جيشه وقد ظفرت بهذه الفرصة فرنسا عندما لبت طلبه وذلك بارسال مجموعة من الضباط لهذا العمل تمثلت في بعثة عسكرية رسمية سنة 1843م[2].(انظرالملحق 3) وفي هذا المجال نشير الى زيارة الباي بذاته الى فرنسا والتي يذكرها أحد مرافقيه في هذه الزيارة وهو أحمد ابن أبي الضياف[3]، أنه انطلق الباي أحمد ومعه خاصة رجال الايالة التونسية وذلك في 05 نوفمبر 1846م[4] .

---

[1] ولد محمد قابادو سنة(1812 –1871م) من أسرة تونسية شريفة النسب وأظهر في سن مبكرة عن ميله للتصوف زار الكثير من الاماكن بغية العلم ومنها استانبول فكان يزور بها جميع المكتبات الموجودة هناك ويزور أقطاب الصوفية أمثال محيي الدين بن العربي وجلال الدين الرومي وعند عودته الى تونس تم تعيينه معلما بمدرسة باردو فأقبل على مهمته باخلاص مثالي ولم يهدأله بال الا بعد تكوين نخبة من الشباب التونسي التي احتلت فيما بعد أعلى المناصب في تونس ولقد كان بماحباه الله به من مزايا قد أثارحقد الكثيرين من الخصوم الراغبين من الانتقام منه لنتيجة ماوصل اليه فالقى نحبه على يدهم ،أنظر الصادق الزمرلي ،أعلام تونسيون ،تق،وتع، حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ن1986، ص 68،70.

[2] عبد الجليل التميمي ، المرجع السابق ، ص 50.

[3] أحمد ابن أبي الضياف ولد عام 1804م وهو ينحدر من عائلة تنتمي الى فرع من قبيلة أولاد عون العتيدة وهومن أكسب عائلته شهرة واسعة ولو أنها كانت عائلة علم ، ونتيجة ماكان يتميز به من حس سياسي ومرونة فكر وأخلاق سمحت له بأن يتلقد العديد من المناصب منها مايتعلق بالعدل ثم تم تعيينه في أمانة الوزير الأكبر وهو شاكير صاحب الطابع وغيرها من المناصب المرموقة في تونس ليصبح وصفه بالحقوقي والمؤرخ ورجل الدولة وبهذا ظل ملازما للبايات الذين تعاقبوا على تونس بداية من الباي أحمد الذي ألاوه في عهده عدة مناصب ليرتقي بعدها الى وزيره الخاص فكان ابن ابي الضياف يدون كل مايأمر به من قبل الباي ، وهومانجده في مؤلفه الشهير أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان وظل هكذا يزاول وظائفه المنوطة اليه الى أن القى نحبه سنة 1874م. أنظر الصادق الزمرلي ،المرجع السابق ، ص70 ،73.

[4] أحمد ابن أبي الضياف ،اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تح لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ،ج4، الدار العربية للكتاب ، تونس ، دس ، ص97.

ليصل بعد ذلك في حدود ثلاثة أيام الى ميناء طولون فكان مهيأ بصفوف من الجند وأطلقت المدافع ثم اتى أمير الأسطول الفرنسي ورحب بالباي وضيوفه على مقدمه وأميرال فسلما على الباي ورحب به قائلا ' **ان فرنسا في انتظارك'**[1]. وبعد ذلك تلقى الباي أعيان طولون جماعة بعد جماعة للترحيب به وأقام الليلة الأولى بدار الأميرال، وفي صباح الغد مر كل من في طولون من العساكر أمام ناظريه فأعجب بنظافتهم وسلاحهم وحسن تدريبهم ، ووقف على بعض من عتادهم الحربي الخاص حتى بالاطفاء وزار أهم المصانع القريبة من هناك والدالة على قوة هذه المملكة وضخامتها، وفي طريقه الى باريس شاهد معنى العمران وصورة التقدم في ميادين الحضارة ولو تتبعنا الرحلة كما قال ابن ابي الضياف لكانت كتابا مستقلا[2]. وتبعا لما أحدثه الباي من فرق حاول أن يوجد التجهيزات العسكرية اللازمة فأنشأ مصنعا للقماش خاص باللباس العسكري معتمدا في ذلك على خبرات أوربية وخاصة الفرنسية ,أقام مصنعا للجلد والبارود وأخر خاص بصنع المدافع وكلها كانت تحت نظر الأجانب كما أنشأ حتى المطاحن والمخابز لتموين الجيش[3]، واندفاعا وراء التجديد والتقليد جعل لباس جنده يشبه لباس الجيش الفرنسي الى هذا الحد وصلت القناعة بالسير وراء الطريق الذي اختطته أوربا كونه طرقا للمدنية والقوة والتحضر وذلك انطلاقا من مظاهر التفوق الأوربي خاصة على صعيد الجيش والتقنيات الحربية[4]، ودعوة السلطان العثماني محمود من قبل الى جعل أوربا مثالا يحتذى به في التقدم بغض النظر عن العداء القائم بين السلطنة وأوربا[5].

---

[1] أحمد ابن الضياف ، المصدر السابق ، ص98.

[2] نفسه ،ص100.

[3] عبد الجليل التميمي ، المرجع السابق ن ص 53.

[4] نفسه ، ص54.

[5] سمير أبو حمدان ،خير الدين التونسي ابوالنهضة ،دار الكتاب العالمي ، بيروت ،لبنان،1993، ص24.

وفي حقيقة الأمر أن الحضور القوي لفرنسا في مؤسسات الجيش التونسي يعني التركيز على اهتماماتها السياسية المبكرة في تونس من خلال تلك العلاقات التي وصل اليها كلا الطرفين[1].

2) مظاهر العلاقات في الجانب الاقتصادي

تعود العلاقات التونسية الفرنسية في المجال الاقتصادي لزمن بعيد اذ هي نتاج لعلاقات فرنسا بالشرق الاسلامي وبالأحرى في أيام فرنسوا الأول والسلطان سليمان القانوني(1520-1566م)[2] والتي جعلت من فرنسا أولى الدول الأوربية الي تحصل على امتيازات اقتصادية في بلاد الشرق الاسلامي عموما وفي تونس على وجه الخصوص فبقت تتجدد هذه الاتفاقيات على من حين لأخر[3]. أما في القرن التاسع عشر فقد وقع تجديد لتلك الامتيازات الممنوحة لفرنسا مع اضافة شروط جديدة جاءت أغلبها لصالح فرنسا،وبفضل تلك المعاهدات وجد النفوذ الفرنسي سندا قانونيا يعتمدعليه في الداخل والخارج خاصة وأن كل المعاهدات الموقعة خلال القرن 19م كانت بين الطرفين وبدون واسطة[4]، وفي هذا القرن ومسايرة لحركة الاصلاح التونسي عرف هذا الجانب نوعا من النهوض والتمدن والاصلاح الذي يزداد به عمران البلاد وحضارتها فقد أسسوا بنكا (دار المال) وأوكل عليها محمود ابن عياد[5].

---

[1] عبد الجليل التميمي ، المرجع السابق ، ص53.

[2] سليمان القانوني (1520-1566م) أبوه السلطان سليم الأول فاتح سوريا ومصر وفي عهده وصلت الدولة الى أوجها ،وامتدت من بودابست على نهر الدانوب وفي بغداد على نهر الدجلة وبلاد القرم والى تلال النيل الأول فكانت أكبر الدول الاسلامية ،انظر غانية بعيو ،التنظيمات العثمانية وأثارها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839-1876م، مرجع سابق،ص 24.

[3] نور الدين صحراوي ،النفوذ الأوربي (الفرنسي –الانجليزي –الايطالي) في تونس 1857-1881م، مرجع سابق،ص50.

[4] نفسه ،ص51.

[5] أحمد ابن أبي الضياف ،المصدر السابق ، ص144.

فأصبحت نشاطات الايالة ماليا من دفع وقبض وجبايات ومرتبات وغيرها تتم بواسطة في هذا البنك من ذلك الوقت فاستجابة لمتطلبات هذه المرحلة تم استصدار أوراق مالية مؤتمنة[1] ومنحوا التراخيص لانشاء بنوك أجنبية ، لهدف ضمان السيولة النقدية وتشجيع الاستثمار والمعاملات التجارية فسارعت انجلترا عن طريق رجل أعمال يدعى(مسيوطود) لتأسيس بنك انجليزي تونسي لكن بعد أن تم العقد وتم تسجيله في انجلترا والاتفاق عليه سعت فرنساجاهدة الى اجهاض المشروع وفسخ العقد[2]، وتحملت الخزينة التونسية لوحدها نفقات التعويض المترتبة على ذلك وهوما يكبدها خسائر اضافية لاقتصاد الايالة وهو ما يعتبر مظهرا من مظاهر النفوذ الفرنسي في تونس[3]. وفي سبيل حركة الاصلاح التونسي عرفت العديد من الرجال المؤهلين للنهوض بشتى الجوانب في الايالة ومن بينهم خير الدين التونسي[4] (انظر الملحق 4)،الذي أراد أن تشهد تونس تنمية في قاعدتها الاقتصادية حتى تتمكن من تحمل تكاليف الامكانيات الحديثة[5].

---

[1] عرفت الايالة التونسية ضعف اقتصادي كان سببه تدهور النقد في تونس مما جعل الدول الأوربية لاتتداول العملة التونسية ويذكر ذلك محمد السنوسي لما زار أحد المدن الايطالية وأراد استبدال قطع نقود فضية فلم تقبل منه، أنظر محمد السنوسي ، الرحلة الحجازية ، ج1، تح، علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع ،1976 ، ص56.

[2] نور الدين صحراوي ، المرجع السابق ، ص 96.

[3] نفسه ،ص 97.

[4] ولد خير الدين التونسي سنة 1823م،وقد سجل في مذكراته أنه شركسي الأصل ولم يحتفظ بذكرى عن موطنه الاصلي اذ اختطف صغيرا وتربى في قصر الباي أحمد ، وهو من أشهر رواد الحركة الاصلاحية في تونس ، أنظر خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة أحوال المملك ، تق ، محمد الحداد ،دار الكتاب المصري ، القاهرة ،2012م ،ص 11.

[5] يوجين روجان ، المرجع السابق ، ص 135.

فهو الذي يصف متأثرا بحالة فرنسا أثناء فترة من رخائها الاقتصادي وحسن التدبير وروح المسؤولية بها اذ يقول: " **وماهم عليه من الثروة واتساع الأمال، بسبب تنظيماتهم العادلة الضابطة لتصرفات الدولة... بحيث لايسوغ لها أن تسلم شيئا من المال الا لمن تحقق حسن تدبيره وحسن ادارته فضلا عن أمانته لأن مجلس المحاسبات يتعقب مصارف الدولة بحساب مدقق**[1]" وفي سبيل النجاح بهذا الجانب وضع خير الدين في اعتقاده أن الايالة التونسية يجب ان تلجأ للاستثمار في المصانع حتى تحول محاصيلها الى بضائع تباع في السوق المحلية لأن الايالة كانت تبيع المواد الخام من قطن وحرير وصوف وغيرها من المواد للأوربيين بأسعار زهيدة ثم تشترى بعد مدة قصيرة بأثمان مضاعفة ليكون بذلك أحسن اتباع سياسة ترشيد الانفاق والتجنب من وقوع الاقتراض من أي دولة كانت[2]، فرأى أنالأفضل للمصانع التونسية أن تغزل وتنسج الخيوط التي تنتجها محليا سيمكنها من الرخاء في البلاد والذي بدوره يؤدي الى الاستثمار في عدد أكبر من مشروعات البنية التحتية لتسمح بعد ذلك بقوة التجارة الخارجية للايالة مع الدول الأوربية[3]. ان هذا النهج الدي اعتمد عليه خير الدين التونسي للنهوض بالاقتصاد التونسي على الصعيد الداخلي والخارجي في اطار المعاملات التجارية وغيرها كان قد عرفته تونس قبله في زمن حمودة باشا[4].

---

[1] خير الدين التونسي ، المصدر السابق ، ص 162.

[2] يوجين روجان ، المرجع السابق ، ص136.

[3] نفسه ، نفس ص،136.

[4] ولد حمودة باشا في الجزائر عام 1759م كان حمودة هو الأكبرفي اخوته الخمسة كان ننذ صغره يحمل طابع الذكاء وبعد النظر لقد أظهر خلال فترة حكمه مقدرة وكفاءة فاقتا مقدرة جميع بايات الدولة الحسينية سواء بالنسبة لعلاقاته بالدول الأوربية والدولة العثمانية اوبالنسبة لعلاقاته بالولايتين المجاورتين لتونس وهما طرابلس والجزائر توفي عام 1814م بعد أن بلغ الستة وثلاثين سنة قضى منها في الحكم ثلاثة وثلاثين عام وثلاثة أشهر ، أنظر رشاد الامام ، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م،رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة ، دائرة التاريخ الجامعة الامريكية ، بيروت ، دس، ص72،68.

بحيث كانت السياسة التجارية في الخارج أوج قوتها فأثرة بذلك سلبا على المؤسسات الفرنسية القائمة بتونس فيذكر أحد المؤرخين واصفا بشدة انتشار ظاهرة اهتمام التونسيين بالتجارة الخارجية يقول:"**ان التونسيين العاملين بهذه المصلحة أصبح عددهم يفوق المائة وخمسين تاجرا كبيرا...وفي حال أن المؤسسات التجارية الفرنسية العشرين التي كانت عاملة في التجارة الخارجية بتونس ...أصبح عددها الا خمسة فقط وهي تعمل للعادة لاللأرباح**[1]". فكان المجال الفلاحي أيضا هوالأخر المعنى بالتحديث فقد صدرت بعض الاجراءات القانونية التحفيزية كاصلاحات تتكامل مع التحولات التي أصبحت تعيشها الايالة ومنها التخفيض في الجباية المتمثلة في تخفيف ضريبة العشر التي كانت تحددها الايالة بواسطة العمال الذين يكرهون أصحاب المزارع دون النظر الى كمية محاصيلهم[2]، وقال الباي أحمد في هذا الصدد :"**أن ابقاء الجباية بأيدي هؤلاء وبهذه الكيفية هو الذي نقص عمران بلدنا ...ولابد من أداء نسوي فيه كل الناس ونسميه اعانة.**" ليتم اصدار منشور سنة 1856م يحدد قيمة هذه الاعانة والمعنيون بدفعها.[3]

3) مظاهر العلاقات في الجانب السياسي.

وهنا قبل أن نتكلم عن الحركة الاصلاحية في الجانب السياسي نشير الى أهم مظاهر العلاقات التونسية الفرنسية في هذا الجانب ألا وهو التمثيل الدبلوماسي فهو معيار يشير الى متانة العلاقة بين الطرفين[4]

[1] رشاد الامام ، الرجع السابق ، ص 296.

[2] أحمد أبن أبي الضياف : المصدر السابق ، ص403.

[3] نفسه، ص 207.

[4] نور الدين صحراوي ، المرجع السابق ،ص296.

فالتمثيل القنصلي التونسي كان موجودا وبقوة في أهم المدن الفرنسية مثل باريس سنة 1846م وطولون في سنة 1847م فأدى بذلك الى علاقة خاصة تربط باردو بباريس ربما لم ترقى اليها أي دولة أخرى سواء عربية أم غربية.[1]

وبطبيعة الحال هذا مايفسره قول أحمد باي في احدى المرات لاحد القناصلة الفرنسيين المتواجدين بتونس :" **أنا داع لفرنسا بالخير...وسائر ماتستحقه من بلادي وهوموجود فهولها**" فكانت فرنسا تترصد لهذه الفرص فهي بذلك تسعى الى تقوية علاقاتها بالايالة التونسية من جهة وهدم هذه العلاقات بين الايالة والدولة العثمانية من جهة اخرى.[2] ولابد هنا أن نظهر نية فرنسا من وراء كل ذلك وهوماعبرعنه وزيرخارجيتها جول فيري[3] بقوله في مجلس النواب " ...**ان تونس هي مفتاح دارنا في شمال افريقيا ولايمكننا أن نترك هذا المفتاح يقع في أيدي غيرنا**[4]"، وهنا لونستقرئ الاصلاحات السياسية التونسية لوجدنا صدور قانون عهد الأمان سنة 1857م الذي صدر في عهد محمد باي (1855-1859م)[5]

---

[1] نور الدين صحراوي ، المرجع السابق ، نفس ص54.

[2] .نفسه ، نفس ص54.

[3] جول فيري هوسياسي فرنسي ولد عام 1832م في مدينة سانت ديي من عائلة ألزاسية تولى عدة مناصب مرموقة منها منها رئيس وزراء مرتين بباريس ،وكان منظرا للسياسة الاستعمارية للجمهورية الثالثة وبذل كل جهوده لبناء امبراطورية استعمارية فيماوراء البحار،انظر نور الدين صحراوي ،المرجع السابق ،ص56.

[4] نفسه ، نفس ص 56.

[5] ألت وراثة العرش الحسينس الى محمد باي سنة 1855م بحسب الطريقة الوراثية غير أنه يختلف في تكوينه الفكري عن سلفه فهو قريب من الأمية ولم يكن له من الطموح والأعمال التي كانت لسابقه وربما يرجع هذا لجهله أو عدم تعميره في الحكم طويلا وهو من أصدر قانون عهد الأمان عام 1857م ،أنظر عبد الجليل التميمي ، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي ،مرجع سابق ،ص58.

فتح المجال لوفود الجاليات الأوربية ، بحيث نص على إحدى قاعدة أساسية سوى فيها بين جميع سكان الايالة التونسية في الحقوق والواجبات، وكان أحمد بن أبي الضياف هو من كتب هذا القانون اذ يقول :"**وأمرني بانشاء مكتوب عهد الأمان بمحضر الجماعة ... فاستدعى الباي سائر أهل المجلس الشرعي وأعيان الدولة وقناصل الدول وكبير الأساقفة والرهبان وأحبار اليهود وأمرني بقراءته أمامهم**" [1]

ولقد كان من العوامل التي أدت الى صدور هذا القانون هو قتل يهودي والتي استغلتها الدول الأوربية عامة وفرنسا خاصة كذريعة لادخال اصلاحات الدستورية[2] فقد كان هذا القانون صدى للمصالح الاستعمارية وتعبيرا عنه لتبعيته للخارج فقد سعى الى ضمان مصالح الرعايا الاجانب[3]. وفي هذا الجانب دائما نشير الى صدور دستور 1861م من قبل الباي محمد الصادق(1859-1881م)[4] فقد أقر على اصداره يوم 26 أفريل 1861م بعد اتمام اعداده من قبل مجموعة من المصلحين أمثال خير الدين التونسي وأحمد ابن أبي الضياف وغيرهما، ويعتبر أول دستور مكتوب في المجال التشريعي في كل العالم العربي والاسلامي وهو يتكون من مائة وأربعة وأربعين مادة موزعة على ثلاثة عشر بابا، وأقر هذا الدستور تفريقا هيكليا بين السلط لكن لم يصحبه تفريقا وظيفيا لها[5] ،

---

[1] أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ،ج3، ص240.

[2] نور الدين صحراوي ، المرجع السابق ، ص 103.

[3] مراد مهني ،الثقافة السياسية وتطور المؤسسة البرلمانية قراءة سوسيو تاريخية في التجربة التونسية 1861-2011م ،دفاتر السياسة والقانون ،ع12،جانفي 2015م، ص153.

[4] ولد محمد الصادق بن حسين بن محمود باي عام 1813م ورث الحكم عن أخيه في 23 ديسمبر 1859م وهو الباي الثاني عشر من سلسلة بايات الأسرة الحسينية ولا يختلف عن سالفه كثيرا سوى أنه أقل أمية وجهلا الا كان أكثر منه ضعفا في الشخصية وكان يمتاز بالخمول الذهني والترف بشكل كبير فأصبح في أخر حكمه قليل الاكتراث بشؤون البلاد وحاجيات الناس ،أنظر عبد الجليل التميمي ، المرجع السابق ،ص65.

[5] مراد مهني ،المرجع السابق، ص154.

كما نظم هذا الدستور السلطات العامة وبات الميثاق الأساسي ونوعا من الاعلان عن حقوق وواجبات الانسان والمواطن[1]. فكانت سياسة تونس الخارجية في عهده تحاول التوفيق بين اتجاهين متناقضين وهما محاولة الحفاظ بالارتباط بالدولة العثمانية ثم الاندفاع بقوة نحو فرنسا[2].

وهذا ماسنظهره من خلال مواد هذا الدستور وقواعد عهدالامان في الفصل الثاني.
فقد يكون للبايات أهدافا خفية من خلال وصول علاقاتهم بفرنسا دون غيرها الى هذا الحد[3].

3) مظاهر العلاقات في الجانب العلمي والثقافي .

فالحديث في هذا الجانب يحتم علينا العودة الى فترة الباي أحمد التي تميزت التفتح على التيارات الثقافية في أوربا، فقد تتابعت رحلات رجال الايالة التونسية الى فرنسا وغيرها من الدول الأوربية فشاهدوا ماكانت عليه هذه البلاد من نهضة وتقدم، ولقد تكلمنا سابقا عن زيارة الباي أحمد بذاته الى فرنسا وكان لهذه الزيارة أثرها في توطيد العلاقات التونسية الفرنسية[4]. فكون الايالة التونسية التي كانت تتعثر ببعض المراحل الاقتصادية ولم تكن في الحقيقة متهيئة لمجارات الأمم الأوربية ولكنها أرادت التقليد منها فكان خير الدين التونسي أول من فهم الحل وذلك بعد ما لاحظه أثناء رحلته الكبرى بأغلب العواصم الأوربية عام1861م فرأى أن سبب تأخر المسلمين في القرون الحديثة هو جهلهم بالعلوم الكونية التي عمل بها الأوربيون منذ زمن بعيد فبلغت تلك الأمم أوج الحضارة بفضل الاكتشافات العلمية والمستجدات العصرية[5]

---

[1] عبد العزيز الثعالبي ،تونس الشهيدة ، دار القدس {بيروت ،1975، ص 31.

[2] عبد الجليل التميمي ،المرجع السابق ، نفس ص65

[3] نور الدين صحراوي ، المرجع السابق ،نفس ص 56.

[4] شوقي عطاالله الجمل ،المغرب العربي الكبير ،مرجع سابق ،ص287.

[5] محمد خوجة ، صفحات من تاريخ تونس ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،1986،،ص309.،

فقد أشار خير الدين الى الباي محمد الصادق بأن يقوم بعمل نافع للبلاد يخلد له الذكر الجميل وهواحداث مدرسة لتعليم العلوم العربية وبعض اللغات الأوربية[1] ،كما أشار عليه بتهذيب أساليب التدريس بجامع الزيتونة[2].

ومن المأثر المرتبطة بهذا الجانب تأسيس المكتبة الاحمدية عام 1840م[3] فقد كان الباي أحمد السباق في تعمير خزائن جامع الزيتونة بالكتب المتنوعة وتشجيعه للعلم وإكرام العلماء[4] واقتطع لهم مبالغ شهرية وأكد أن ينال الطلبة النجباء العناية التي يستحقونها ويقال أن هذا الباي ورث مكتبة ضخمة عن أسلافه ضمت مجموعة نادرة من المخطوطات القديمة ومن الكتب ذات الاختصاصات المتعددة وأضاف لمكتبة القصر بكل جديد[5] كما أنه وجه الوكلاء الى سائر الانحاء الانحاء التونسية لجمع المخطوطات خاصة الموجودة في الجوامع وذلك من أجل شملها في مكان واحد وخوفا عليها من التلف بحيث تمكن هذا الباي وحده من جمع أكثر من ألفي مخطوط نادرفي الادب والطب والسياسة والتاريخ وغيرها ضمها كلها لمكتبة القصر وأوكل عددا من الوراقين من أجل ترميم الكتب التالفة وتجديدها[6].

---

[1] محمد خوجة ،المرجع السابق ،نفس ص 310.

[2] يعتبر جامع الزيتونة من أقدم الجوامع التي بنيت في الشمال الافريقي وباعتبار أن أول عمل كلن يقوم به الفاتحون أثناء فتحهم لأقليم جديد هوبناء مسجد ليكون أساسا لحكمهم ويعتقد أن عبد الله ابن الحبحاب هو الذي اختط هذا الجامع لما كان واليا على افريقيا.أنظر رابح فلاحي ، جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر 1908-1954م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستيرفي التاريخ الحدبث،كلية العلوم الانسانية ،جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ،2007-2008،ص29.

[3] سميت المكتبة الاحمدية نسبة لمؤسسها أحمد باي ،أنظر نعبد الحفيظ منصور ،فهرس مخطوطات مكتبة المكتبة الأحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونة) ،دار الفتح للطباعة والنشر ،بيروت ، دن ،1969،ص5.

[4] شوقي عطاالله الجمل ، مرجع سابق ، ص113.

[5] سمير أبو حمدان ،خير الدين التونسي ابو النهضة ، مرجع سابق ، ص25.

[6] نفسه ، ص 26،27.

ومواكبة لهذه النهضة وتعزيزا لها شهدت الايالة التونسية أنشاء المطبعة الحجرية من قبل الباي محمد والتي استحضر ألاتها من باريس وأول ماطبع بها لائحة تراتيب داخلية ثم بدأيتوسع في هذا المشروع فسعى لجلب أحرف معدنية مع الأجهزة التابعة لها بالطبع من دار الطباعة من باريس[1] ،وفي عهد الباي محمد الصادق صدرت من هذه المطبعة(جريدة الرائد التونسي) سنة 1860م وتم طباعة العديد من المؤلفات والكتب[2].

وعرفت الايالة التونسية استقدام بعض العلماء العرب وغيرهم ممن لهم الخبرة في مجال الصحافة والكتابة وكان أبرزهم أحمد فارس الشدياق[3]وغيره.وحتى للاستفادة منهم ومن خبرتهم في ادارة شؤون (جريدة الرائد التونسي) ودعم جهود المؤلفين والادباء التونسيون الذين انتدبوالفترات مختلفة للاشراف على جريدة الرائد[4] التي فتحت صفحاتها لنشر العديد من القصائد والمقالات والدراسات المتسلسلة وفي مقدمتها كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) لخير الدين التونسي و(كتاب الحلل السندسية) لابن سراج الأندلسي، وغيرها من الكتب التونسية[5].

---

[1] محمد خوجة ،المرجع السابق ،ص 166.

[2] مجموعة من الباحثين ،تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر ،المجمع التونسي للعلوم والأداب والفنون ،بيت الحكمة ،تونس ،1993.ص 11.

[3] ولد أحمد فارس الشدياق عام 1801م في حارة الحدث بالقربمن بيروت ،وقد اختلف الكثير في سنة ولادته ومكانها ،وهو من كتاب القرن التاسع عشر الذين اتصلوا بالأدب الغربي وتأثروا به وهو أحد أعلام النهضة الأدبية الحديثة ،أنظر وفاء يوسف ابراهيم زيادي ، الأجناس الأدبية في كتاب الساق على الساق في ماهو الفارياق لأحمد فارس الشدياق ،أطروحة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية ، كلية الدراسات العليا،جامعة النجاح ،فلسطين ،2009، ص8.

[4] مجموعة من الباحثين ،تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، المرجع السابق ،ص 13.

[5] نفسه ،ص15.

الفصل الثاني

مظاهر النفوذ الأوربي على تونس وخلفيات الإحتلال

أولا:أهم أسباب التنافس الأوربي على تونس

ثانيا:التنافس الأوربي على تونس

ثالثا:الحماية الفرنسية على تونس

أولا: أهم أسباب التنافس الأوربي على تونس

1) قانون عهد الأمان 1857م

لقد عرفنا في الفصل السابق عن صدور هذا القانون وسنتطرق الان الى الدافع الأساسي لصدوره الذي يعود الى واقعة قتل اليهودي ، وتعود أحداث هذه الواقعة أن جندي من جنود الايالة قتل يهوديا كان تاجرا وأخذ سلعته ،وصل الامر الى الباي بشهادة جمع من الناس على القتل صدر حكم قتل ذلك الجندي مباشرة دون السماع لجوابه[1]، وبعد أيام قام جمع من الناس بشهادة أن يهوديا (اسمه باطو)وهو تاجر أيضا شتم مسلما وسب دينه وبعد التأكد من الأمر نفذ فيه هو الأخر حكم الاعدام ،ولما بلغ الأمر الى يهود باريس استنكروا الأمر مما أدى بذلك ارسال أسطول فرنسي به سبع مائة مدفع نحو الايالة التونسية للنظر في هذه القضية وبدأ ضغط القناصلة الاوربيين على الباي محمد (1855-1859م) حول اصدار هذا الحكم في حق اليهودي[2]، ليتجه مباشرة الباي الى اصدار قانون عهد الأمان 1857م الذي احتوى على احدى عشر قاعدة أساسية وما يهمنا منها سوى تلك التي ساوى بها الباي جميع سكان الايالة في الحقوق والواجبات وتم تقديم نسخة منه لكل قناصل الدول الاوربية المتواجدين بالايالة.وما جاء في القاعدة الأولى منه :<< تأكيد الأمان لسائررعيتنا وسكان ايالتنا على اختلاف الاديان والألسنة والالوان[3]>> والقاعدة التاسعة جاء فيها: << ان تسريح المتجر مباح لكل أحد>> أما القاعدة العاشرة منه جاء فيها :<<أن الوافدين على ايالتنا لهم أن يحترفوا سائر الصنائع والخدم>> [4]

---

[1] محمد ابن أبي الضياف ،مصدر سابق ،ج3،ص232.

[2] نور الدين صحراوي ،مرجع سابق ،ص103.

[3] محمد ابن أبي الضياف ،المصدر السابق،ص242.

[4] نفسه ،ص234.

أما القاعدة الأخيرة نصت على: **<< ان الوافدين على ايالتنا من سائر أتباع الدول لهم أن يشتروا الأملاك مثل سائر أهل البلاد ولافضل لأحدهم على الاخر[1]>>**(انظرالملحق5) وغيرها من القواعد التي قضت على الفوارق بين السكان الاصليين والاجانب أدى ذلك لتغيير الحياة بتونس بسبب وفود الجاليات الأوربية فتكونت بها مناطق خاصة بهؤلاء الدخلاء وتباينت نعمة الحياة التي يعيشها الأوربيين وبؤس الحياة التي يعيشها الانسان العربي في تونس[2]،وصارت هذه الايالة اثنتين متباينتين تونس التونسيين وتونس المستعمرين الذين استأثروا بخيرات البلاد،هذه الفوارق ولدت الشعور لدى الشعب العربي في تونس بوجود طبقتين في المجتمع[3]

أ) طبقة مستسلمة وطنت النفس على الاقتناع بتفوق هؤلاء الدخلاء.

ب) طبقة عريضة وصلت الى مستوى دنئ من التفكك الاجتماعي[4].وبطبيعة الحال قد يتعجب أي قارئ عن صدور هذه القواعد المتضمنة في قانون عهد الأمان لهذا يعتبر الكثيرون من المؤرخين أن صدور هذا القانون ومامنحه للاجانب من حقوق الملكية واقامة الصناعات وشتى الحرف وحق الملكية وغيرها دليلا واضحا على ازدياد ضغط الدول الأوربية وتدخلها في السياسة التونسية[5].

---

[1] أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق ،نفس ص 243.

[2] الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1856م، دار المعارف ،سوسة ،تونس ،دس ،ص15.

[3] نفسه :ص16.

[4] نفسه ،نفس ص16.

[5] شوقي عطاالله الجمل ،المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ،مرجع سابق ،ص294.

وذلك من قبل القناصلة الأوربيين المتواجدين في الايالة وعلى رأسهم القنصل الفرنسي" ليون روش[1] " والقنصل الانجليزي "ريتشارد وود[2]" ،فكلاهما اتبعا سياسة التأثير على الباي محمد الصادق(1855-1859م)وخاصة حينما أظهر هذا الباي التقبل لروح التغيير والاصلاح الذي أرسى دعائمهما سلفه فتوج اصلاحاته في المجال الاداري، فأصدر أيضا دستور 1861م الذي أقر هو الأخر مبدأالمساواة في الحقوق والواجبات لجميع السكان المقيمين في تونس،ولذلك وجدت رؤوس الأموال الأوربية مجالا واسعا للاستثمار في هذه الايالة[3]. وقد تلقى الباي محمد الصادق تهنئة الامبراطور نابليون الثالث[4] وان دل هذا على شئ فهو يدل على ازدياد تدخل الدول الاوربية عامة وفرنسا خاصة في الشؤون الداخلية لتونس ،فقد رحبتا كل من فرنسا وايطاليا بهذه التشريعات التي كفلت للأجانب العديد من الحقوق في تونس[5].

---

[1] ولد ليون روش في مدينة غرونبل بفرنسا عام 27 سبتمبر 1807م،ودرس في هذه المدينة ثم في مدين طولون ،شارك مع والده في الحملة الفرنسية على الجزائرعام 1830م ،كان يجيد عدة لغات منها العربية ،خالط أهل الجزائر ووصل به الأمر الى الأمير عبد القادر الجزائري والذي أرسله الى من يعلمه الدين الاسلامي بعد أن أعلن اسلامه وبعد توتر العلاقات بين الأمير عبد القادر وفرنسا هرب وأصبح معروفا بأنه كان يتجسس على الأمير وأحوال المسلمين ، تقلد العديد من المناصب منتها الترجمة في الادارة الفرنسية في الجزائر وتولى قنصلية فرنسا في كل من تونس والمغرب وحتى في اليابان ،توفي عام 1901م،أنظر ليون روش ،اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الاسلام ،تر،محمدخير محمود البقاعي ،جداول للنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان ،2011،ص13،12.

[2] ولد ريتشارد وود بالقسطنطينية عام 1806م يجيد عدة لغات منها العربية والتركية واليونانية وغيرها تقلد عدة مناصب منها تعيينه ملحقا بالسفارة الانجليزية باسطنبول من 1825-1834م ،ثم قنصلا لبلاده بدمشق من 1834-1841م ، وتم تعيينه قنصلا عاما لبريطانيا بتونس من 1855-1879م،أنظر نور الدين صحراوي ، النفوذ الأوربي (الفرنسي-الانجليزي-الايطالي) بتونس ، مرجع سابق ،ص67.

[3] ابراهيم ناهد دسوقي ،دراسات في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،مصر ،2011، ص 232.

[4] نابليون الثالث (بونابارت)1808-1878مكان امبراطور فرنسا من1853-1870م وتقلد منصب رئيس الجمهورية الثانية عام1848م أنظر شفيق محمد غربال ،الموسوعة العربية الميسرة ،م2،ص12.

[5] شوقي عطاالله الجمل ،المرجع السابق ، ص118.

تدفق عددكبير الجاليات الأوربية لممارسة نشاطهم في ظل ماسمح به القانون الجديد لهم وماضمنه لهم من حرية[1]

2) ثورة علي بن غذاهم 1864م

تعود حقيقة هذه الثورة المعروفة في التاريخ التونسي بثورة علي بن غذاهم[2]،انطلقت كنتيجة حتمية للعديد من الظروف التي كانت تعيشها الإيالة التونسية أنذاك بالرغم من أنها في فترة الإصلاحات فيرى خير الدين التونسي أن الاصلاحات السياسية كانت تسير في تلك الفترة في الاتجاه الصحيح أما الوضع الاقتصاي فكان العكس من ذلك وهوباتجاه التدهور باستمرار[3]،فالانتاج الزراعي كان قد تراجع وأصبحت الصناعات التقليدية تعاني من المزاحمة الأوربية وتدهورت التجارة الخارجية ،وأصبح الفلاحون مرغمين على بيع مواشيهم حتى يمكنهم دفع الضرائب،وارتفعت أثمان الحبوب والمحاصيل الغذائية[4]فكانت عوامل السخط على الأوضاع التي ألت اليها البلا ق تجمعت فوصلت الى تأخر دفع مرتبات الموظفين والجند[5]. فقد عاشت حكومة حكومة الباي محمد الصادق(1855-1859م)أزمة مالية في أواخر سنة 1863م كان من أثارها اتخاذ قرارمضاعفة الضرائب الشخصية التي تسمى المجبى[6].

---

[1] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،ص:289.

[2] علي محمد بن غذاهم ،كان يلقب بباي الشعب وهو ثوري تونسي من قبيلة ماجر بولاية القصرين ،قا ثورة ضج الايالة التونسية عام 1864م بسبب المشاكل الاقتصاية و الاجتماعية التي تعانيها تونس ، شملت تلك الثورة العي من المناطق وتمكن الباي محمد الصادق من اخمادهاواعتقل بن غذاهم سنة 1866م ومات بالسجن بعدها بسنة واحة ،أنظر خير الين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك،مصر سابق،ص:37.

[3] نفسه ،ص:36.

[4] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،ص:291.

[5] نفسه ،ص:293.

[6] هي ضريبة أقرها الباي محمد سنة 1864م وكانت اليبب المباشر لحدوث ثورة علي بن غذاهم ،أنظر علي المحجوبي ، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، سراس للنشر ، تونس ،1986، ص12.

فكان هذا يشير الى حقيقة الوضع الذي ألت اليه البلاد فوصل الأمر الى الاقتراض من المصارف الأوربية[1]وكرد فعل على زيادة ضريبة المجبى انطلقت الثورة في عدة مناطق من الايالة التونسية حتى وصلت في أقل من شهر كافة أطراف البلاد وفي تلك الأثناء كانت القوارب تعود من مالطة محملة بالبارود الانجليزي ،وكان عرب القبائل الشاقة عصا الطاعة يبتاعونه من التجار اليهود المستقرين بالمدن الساحلية[2] فقد تولى هذه الثورة في كل جهة من الايالة زعيم ،فالمنطقة الغربية من الايالة كانت من نصيب قائدها بن غذاهم[3]،(انظر الملحق 6) والدليل الكافي على انتشار هذه الثورة وخطرها يتمثل في الرسائل القنصلية التي كانت ترسل من أسبوع لأخر ونذكر عبارات أحد البرقيات: <<ان مدينة الكاف قد وقع السطو عليها ونهبت بها ستة دكاكين وانقطعت المواصلات بضواحي القيروان[4]>>ووسط هذه الظروف رجع الى مقر الباي كل العمال الذين أرسلهم لولاياتهم قصد استخلاص الضرائب ففروا خوفا من خطر الثورة[5]. فقد عبر قائد الثورة علي بن غذاهم في أحد رسائله الى الباي يقول فيها:<< ان الناس يطالبون برفع المظالم ونهي البغاة والعمال الذين طالت أيديهم وأنه سوف يستمر الى أن تخفف الدولة من الضرائب التي أثقلت كواهلهم[6]>>.

---

[1] خير الين التونسي ، المصر السابق ، نفس الصفحة 36.

[2] جان غانياج ،ثورة علي بن غذاهم 1864م،تر،لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية ،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ،1965،ص20.

[3] نفسه ،ص21.

[4] نفسه ،نفس الصفحة21.

[5] نفسه ،ص22.

[6] عبد الجليل التميمي ، المرجع السابق ،ص294.

وان كانت الايالة التونسية قد اضطرت لإرجاع ضريبة المجبى الى أصلها الأول مما استطاعت الايالة بذلك أن تبث الفرقة بين صفوف الثوار[1]. وأن توقع بهم الهزيمة وتحتم على زعيمهم بن غذاهم الى الاستسلام ،وزجت به في السجن الى أن مات في زنزانته بعد اعتقاله بسنة[2]. ولكن هذه الثورة فتحت المجال هي الأخرى للتدخل الأوربي في الشؤون الداخلية للايالة التونسية وخاصة فرنسا وانجلترا وايطاليا، سعت كل دولة أن تلعب الدورالذي يتناسب مع مصالحها واتجاهاتها[3].فكانت هذه الدول تريد استغلال حالة الدمار والفوضى التي وصلت الى تعطيل الدستوروتوقيف عمل المجالس البلدية وأنتشرت على اثرها المجاعات والأمراض الخطيرة ،هذه الثورة تجر البلاد للانزلاق في مهاوي الاستدانة[4].

3) اللجنة المالية الدولية 1869م.

لقد واجهت الايالة التونسية بعد أن خمدت الثورة الداخلية مصائب متعاقبة ساهمت في افلاس الخزينة واضطربت الأحوال الاقتصاية كما ذكرنا سالفا ،وترتب على هذه الأحداث أن أصابت حاصلات البلاد نكسة وأصبح الايراد السنوي لتونس لايكفي لسد حاجات الادارة ودفع فوائد الديون فاضطرت الايالة التونسية الى الاستدانة بشكل مستمرواضطرت في النهاية الى اعلان عجزها عن دفع فوائد القروض[5]،

---

[1] شوقي عطاالله الجمل ، مرجع سابق ،ص:292.

[2] نفسه ، نفس ص 292.

[3] نفسه ،ص297.

[4] الطاهر عبد الله ،الحركة الوطنية التونسية ،مرجع سابق ،ص22.

[5] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،ص298.

وأمام هذه الأوضاع المتدهورة ولما عجزت الايالة عن تسديد الديون توافق قناصلة الدول الأوربية على الاقرار بأن وضع البلاد المالي ميؤوس منه وتقدم قنصل فرنساباقتراح يقضي بانشاء لجنة من الخبراء والمستشارين الفرنسيين[1]

لدرس الأوضاع عن كثب واقتراح حلول عملية كفيلة بوضع حد للتدهور القائم[2]، ومن ثم تم تأسيس لجنة عرفت بالكوميسيون المالي سنة 1869م[3] بموافقة الباي محمد الصادق لتضم ممثلين عن المصارف الأجنبية فضلاعن مسؤولين تونسيين وعهد الى خير الدين التونسي برئاسة هذه اللجنة وذلك لدرايته في الأمور المالية ولمواهبه الدبلوماسية الضرورية لاقناع الاجانب بتخفيف ضغوطهم[4] وبالرغم من ذلك تطلب عمل اللجنة بهذا الوضع التدخل الأجنبي في شؤون الايالة وفي كل فروع الادارة بالبلاد وكان طبيعيا أن ينظر الوطنيون الى هذا التدخل في شؤون بلادهم نظرة السخط والتذمر ،فقد كانت اللجنة المالية رمزا لسيطرة الأوربيين ,وأداة لاستغلال واذلال للشعب التونسي[5]كما نبرز أهم مظاهر السيطرة الأوربية على تونس من خلال هذه اللجنة هو ما يظهر في حالة عجز المداخيل المخصصة لتسديد الديون فتجبر الايالة التونسية على تغطيته بخصم جزء من اعتماداتها الخاصة[6]

---

[1] عاطف عيد ،موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية ،مرجع سابق ،ص61.

[2] نفسه ،ص62.

[3] كانت المالية التونسية تخضع لرقابة أجنبية بعد أن هيمنة عليها سنة 1869م فرنسا وانجلترا وايطاليا، لهذا وافق الباي محمد الصادق على تأسيس اللجنة المالية الدولية حددت خصائصها بمقتضى قانون صدر في مارس 1870م، ووقع تقسيم مداخيل الايالة التونسية الى قسمين خصص القسم الأول منها للنفقات الدولية والثاني خاص بالإيالة وكانت هذه الدول تراقب موارد الدولة مراقبة مباشرة ولم يكن الباي سيتطيع ابرام أية اتفاقية قرض أو منح اي امتياز دون موافقتها،أنظر علي المحجوبي ،انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،مرجع سابق ،ص10.

[4] خير الين التونسي ، مصدر سابق ، ص38.

[5] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،ص300.

[6] علي المحجوبي ،المرجع السابق ،ص11.

وعلاوة على ذلك فان اللجنة المالية لا تسمح بأي تغيير في نظام الضرائب وذلك تفاديا لكل ماينجم عن ذلك من أخطار لأن كل تغيير سيؤدي في أمد قصيرالى نقص في المداخيل[1]. وبلغ تدهور الاوضاع في تونس حدا لايطاق ولم يعد ذلك [2]خافياعلى الجميع مما يجعل اصلاحاته بحاجة الى سلطان يمهد الطريق يجعلها سالكة وسهلة لكن الواقع انذاك يظهر العكس[3].

[1] علي المحجوبي ، المرجع السابق ،نفس ص11.

[2] نور الين صحراوي ، النفوذ الأوربي في تونس ، مرجع سابق ، ص126.

[3] نفسه ، نفس ص126.

ثانيا) التنافس الأوربي على تونس

وهنا قبل أن نتكلم عن التواجد الأوربي في تونس ،يجب أن نذكر أولا تلك الاستجابة المباشرة من قبل هذه الدول لحماية تونس من أخطار ثورة علي بن غذاهم وفي الحقيقة لماية رعاياهم في الايالة التونسية فكانت ذريعة ملائمة لتدخلهم في البلادالتونسية[1]، فقد أرسلت كل منها سفنا حربية وذلك استجابة لنداء قناصل تلك الدول المتواجدين في الايالة فحلت سفينة انجليزية (فيرغلي) بميناء حلق الوداي وحلت على اثرها سفينتان ايطاليتان[2] وأخرى فرنسية فكانت هذه مجرد بداية لأن في اليوم الثاني ألقى أسطول فرنسي مراسيه بميناء تونس وثلاث سفن ايطاليا أخرى[3].وبمجرد حلول هذه القوات البحرية انتظمت فيما بينها دوريات الحراسة وأخذت الوحدات الخفيفة منها تتنقل من مرسى لأخر، هذه بالنسبة للسواحل الشرقية التونسية أما في الجهات الأخرى فقد رابطت عدة وحدات ليلا ونهارا لتكون على أهبة نقل عائلاتهم من تونس وربما لم يكن الأمر يتطلب كل هذا العناء ولكن هذا العمل له أهداف أخرى وأبرز هدف هوابراز الامكانيات الحربية والتنافس على الايالة التونسية مهما تكن الوسيلة[4].أما موقف الدولة العثمانية فقد اهتمت بالأمر هي الأخرى فأرسلت سفيرها وهو حيدر أفندي الى تونس للنظر في أوضاعها وتخوف الدولة العثمانية من الأطماع الأوربية اذ أن أحداث الجزائر مازالت ماثلة في الأذهان فأعطى في البداية هذا السفير تعليمات تقتضي بتبعية تونس[5].

---

[1] الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية ، مرجع سابق ،ص32.

[2] جان غانياج ، المرجع السابق ،ص24.

[3] نفسه ،نفس ص24.

[4] نفسه ،ص25.

[5] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،ص120.

للدولة العثمانية[1] وأدرك حيدر أفندي الوضع في البلاد والذي أدى الى افلاسها وفتح الباب على مصراعيه للتنافس الأوربي بين القناصلة الأوربيين في تونس[2] .

1) التواجد الفرنسي في تونس

لقد كانت سياسة أوربا عموما وفرنسا خصوصا خلال النصف الثاني من القرن ال19م لاتتكلم ال على مناطق النفوذ والطرق الدولية وتأمين الأسواق الخارجية تحت تأثير الرأسمالية[3] والامبريالية[4]، فقد كانت فرنسا تعمل جاهدة لحصولها على أكبر قدر ممكن من الامتيازات في تونس ومنها امتياز توسيع ميناء تونس وانشاء سكة حديدية، واقامة خطوط تلغراف وعرفت البنوك الفرنسية حيوية كبيرة في تونس[5].

وزادت الإمتيازات الفرنسية بصورة كبيرة وكذلك هو الشأن بالنسبة لايطاليا نظرا لطمع هاتين الدولتين وتنافسهما للسيطرة على تونس وكان لهما بالطبع أطماع سياسية في تونس ففرنسا بحكم وجودها في الجزائر المجاورة لتونس وايطاليا بحكم قرب أراضيها من تونس[6]

---

[1] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،نفس الصفحة 120.

[2] عبد الجليل التميمي ، مرجع سابق ،ص33،35.

[3] نظام اقتصادي واجتماعي يرتكز على وجود وسائل الانتاج ويكون دافع الربح والمنفعة فيه محرك النشاط الاقتصادي ،ظهر هذا النظام بعد تراجع النظام الاقطاعي في القرن ال15م ،أنظر عبد الوهاب الكيالي وأخرون ،موسوعة السياسة ،ج2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،مرجع سابق ،ص787.

[4] هي ظاهرة اقتصادية سياسية عسكرية تتجسد في اقدام الدول القوية في العصر الحديث على التوسع وفرض سيطرتها على شعوب وأراضي أجنبية بدون رضى تلك الشعوب والهدف استغلالها واخضاعها ونهب ثرواتها وكثيرا ماتتضمن عملية فرض السيطرة واستخدام العنف العسكري بعد التمهيد في بعض الأحيان عن طريق ارساليات تبشيرية وموجات سكانية ،أنظر عبد الوهاب الكيالي وأخرون ،مرجع سابق ،ج1،ص300.

[5] نمير طه ياسين ،تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،دار الفكر ،الأردن ،عمان ، 2010، ص104.

[6] زين العابدين شمس الدين نجم ،تاريخ العرب الحدبث والمعاصر ،دار المسيرة،الأردن ، عمان ،2011،ص142.

أيضا بحيث تقترب صقلية كثيرا من تونس وبالتالي تستطيع ايطاليا التحكم في التنقل في حوض البحر الأبيض المتوسط من جهته الشرقية والغربية[1] وفي اطار التنافس الأوربي حول تونس لاننسى الدور الذي لعبه قناصلة كل دولة أوربية في تونس فمثلا قنصل فرنسا "روستان" وجد في ثورة علي بن غذاهم فرصة ذهبية للتدخل في الشؤون التونسية فوصل به الامر بأن نادى بتشجيع الثورة بل تقدم بطلب تنحية المعروفين بعدائهم لفرنسا عن مراكز السلطة[2] ليأتي فيما بعدالدور الكبير الذي لعبه القنصل "دي بوفال"[3](انظر الملحق 7) وجهوداته للحصول على الامتيازات للرعايا الفرنسيين في تونس حتى أن صاحب الأتحاف يقول متأسفا: <<...كما تحققوا من قنصل الفرنسيس بوفال مما نطق به لسان حاله وماقاله أن سياسته ونصحه انما هي مقدمات نتيجتها الاستيلاء على المملكة [4]>>ووسط هذه الظروف وبالرغم من هزيمة فرنسا في عام 1870م مع بروسيا[5]، هزت هذه الهزيمة نوعا ما نفوذها في تونس ولكن سرعان ماستطاعت أن تعيده بفضل قنصلها "روستان" الذي كان له الفضل في حصول شركة فرنسية على امتياز مد الخط الحديدي من تونس الى الحدود الجزائرية[6]،

---

[1] زين العابدين شمس الدين نجم ، المرجع السلبق ، نفس ص142.

[2] شوقي عطاالله الجمل ، المرجع السابق ، ص121.

[3] هو شارل دي بوفال ول بتاريخ 22 فيفري 1817م ، تقلد مناصب عديدة ادارية وسياسية منذ 1840م ،وأصبح قنصلا بتونس بعد ليون روش منذ16 أفريل 1863م ،أنظر نور الدين صحراوي ،مرجع سابق ،ص66.

[4] أحمد ابن أبي الضياف ،اتحاف أهل الزمان ،مصدر سابق ،ج6،ص22.

[5] أعلنت باريس سنة 10م الحرب على برلين المستعدة سلفا لها سياسيا وعسكريا فيما تولى نابليون الثالث قيادة جيشه متجها ضد بروسيا فتمكن البروسيون من الحاق هزيمة سريعة بالفرنسيين ،انظر عبد الرؤوف سنو ،القومية الألمانية وتجلياتها الوحدوية والعنصرية والامبريالية 1806-1990م،بيروت ،2009، ص11.

[6] Cambon Henri ,Histoire de La Regance de Tonis ,paris 1948,p , 103

وهذه الشركة هي « Bone Galma » وكان هذا الامتياز يعني السيطرة على بقعة خصبة غنية من أرض تونس ووضعها تحت السيطرة الفرنسية ورهن مستقبل تونس من ناحية وتحقق لفرنساطريقا عسكريا حيث أصبح من اليسير نقل وارسال القوات الفرنسية من الجزائر الى تونس في وقت لا يتجاوز الساعات[1]

فقد كافأة الحكومة الفرنسية القنصل "روستان" لقاء هذا العمل بمنحه وساماالشرف مما يؤكد بأن الحكومة الفرنسية كانت تسانده[2]. واحتكرت فرنسا الكثير من المشروعات الهامة مثل خطوط البرق وبعض المشروعات المائية في زغوان[3]، ضمانا للوفاء بالديون[4] لأن فرنسا في هذه الأثناء كان نفوذها في ذروته لأن الديون الفرنسية تمثل نسبة كبيرة من الدين التونسي وكان يمثلها مندوب قوي حريص على المصالح الفرنسية[5].لذلك أصبحت السياسة الخارجية لفرنسا تعمل على ابعاد اي اي نفوذ أخر تحاول أن تمارسه أي قوة أجنبية أخرى على تونس ،وكما ذكرنا سابقا بخصوص امتيازات الأجانب وحقهم في العمل وامتلاك العقارات والأراضي[6]، كل هذه الامتيازات تحد من سلطة الباي والايالة كلها بل انها كانت من أسباب تدهورالاحوال الاقتصادية بتونس لتهرب الاجانب وخاصة الفرنسيين[7]

---

[1] شوقي عطاالله الجمل ،المرجع السابق ،ص301.

[2] ناهدابراهيم دسوقي ،مرجع سابق ،ص234.

[3] مدينة قريبة من تونس العاصمة لجهة الجنوب ،عند سفح جبل زغوان وهوجبل مشرف كبير سيمى جبل الكلب لظهوره وعلوه واستدلال الزائرين به أينما اتجهوا ولعلوه يرى السحاب دونه وكثيرا مايمطر سفحه ولا يمطر اعلاه ،انظر يحي شامي ،موسوعة البلدان العربية والاسلامية ،مرجع سابق،1993،ص51.

[4] ناهد ابراهيم دسوقي ،مرجع سابق ،نفس ص 234.

[5] Jaen Ganiage,lapopulation Europèene de tunis au milieu deXIX siècl,paris,1960,p19-20.

[6] زين العابدين شمس الدين نجم ، المرجع السابق ، ص 141.

[7] نفسه ، نفس ص141.

من المساهمة في نمو الاقتصاد التونسي رغم ما يمتلكونه من أملاك واسعة ،واحتماءهم بالقناصل وعدم مثولهم أمام القضاء التونسي[1]

2) التواجد الايطالي في تونس

وفي نفس السياق وفي هذا الجانب نبرز الدور الذي كان يلعبه القنصل الإيطالي بالرغم من أنه كان أكثر تكتما من القنصل الفرنسي والانجليزي مع أنه لم يكن يحظى لدى حكومة باردو بالقدر من النفوذ الذي كان من شأنه أن يناله ممثل دولة عظمى[2]، ولعل من أسباب ذلك هو كثرة تنقلات القناصلة الايطاليين من دولة لأخرى، كما كانت اللغة الايطالية في الايالة التونسية أكثر اللغات استخداما فاستخدمها حتى البريطانيون المتواجدون في تونس[3] ، فكانت ايطاليا ترى في تونس ذلك المنفذ الطبيعي لنشاط الايطاليين والبعث للامراطورية الرومانية القديمة ، فاستطاع القنصل الايطالي "بينا" أن يحصل على امتيازات في تونس منها امتياز استخراج الرصاص ،وكان قد اشترى من الإنجليز مد الخط الحديدي بين تونس وحلق الوادي[4]،وقد بذلت ايطاليا جهودا مستميتة عام 1861م للضغط على تونس بغية تحقيق النفوذ الفعلي فيها وحصولها على أكبر قدر ممكن من الإمتيازات للايطاليين لأنها في هذه الفترة كانت قد أتمت وحدتها[5]،

---

[1] زين العابدين شمس الدين نجم ،المرجع السابق ،نفس ص 141.

[2] جان غانياج ، ثورة علي بين غذاهم 1864م ،مرجع سابق ،ص42.

[3] نفسه ،ص43.

[4] شوقي عطاالله الجمل ، مرجع سابق ،ص307.

[5] تم التوحيد القومي الايطالي في الفترة الزمنية الممتدة من 1815-1870مولم تكن ايطاليا قبل هذه الفترة تؤلف وحدة سياسية منذ سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية في القرن ال15م ،أنظر عبد الوهاب الكيالي وأخرون ،موسوعة السياسة ،ج7،مرجع سابق ،ص278.

فوصلت الى تزويد قنصلها بتونس بتعليمات محددة لمواجهة المنافسة الفرنسية وذلك للحصول على المشاريع والامتيازات في تونس[1].

ليصل الأمر الى صراع بين القنصل الايطالي"ماتشيو" والقنصل الفرنسي "روستان" بحيث استخدم كلا منهما في هذا الصراع كل الوسائل المتاحة كالتقرب لرجال البلاط ودفع الرشاوي واستغلال المقربين الى الباي ومحاولة اقتناص الفرص التي تلوح ليظفر كلا منهما لدولته بنصيب يقوي نفوذها في تونس ففي هذا الصدد نجد شراء إحدى الشركات الايطالية لأحد المشاريع في تونس كانت قيمته أربعة أضعاف من قيمته الأصلية[2] ونظرا لهذا العمل قامت السلطات الفرنسية بالضغط على الباي بأن لايقوم أي امتياز لبناء أي سكة حديدية الا بعد عرضه على الشركات الفرنسية[3].

لقد كان هذا التصرف من الحكومة الايطالية مدعاة لحرب شرسة بينها وبين فرنسا كادت تصل الى حد اعلان الحرب بين الطرفين واضافة الى رد فعل السلطات الفرنسية على هذا العمل طالبت من قنصلها بتونس روستان بأن يطلب من الباي الاعتراض على امتياز ايطاليا وعدم التصديق عليه بعدم شرعيته[4].

---

[1] ناهد ابراهيم دسوقي ،المرجع السابق ،ص235.

[2] محمد بيرم الخامس ،صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار،تح،علي بن الطاهروأخرون ،ط2،بيت الحكمة ،تونس ،1999،ص282،284.

[3] نفسه :ص286.

[4] ناهد ابراهيم دسوقي ، المرجع السابق ،ص238.

لأن في نظر فرنسا أن جميع الخطوط الحديدية في تونس ينبغي أن تكون تحت تصرف فرنسا ،لكن خاب أملها بعد أن صادق الباي على عقد الامتياز دون ابداء أي معارضة[1] ،وبعد اطلاع فرنسا على بنود هذا الامتيازتضمنت مساهمة الحكومة الايطالية لشركة روباتينوالايطالية المكلفة بهذا المشروع بأكثر من نصف مبلغه ومن البنود أيضا ألا تقوم شركة روباتينو ببيع الخط أو التنازل عليه الابموافقة الحكومة الايطالية أرسل وزير خارجية فرنسا بعد الاطلاع على هذه البنودخطابا شديد اللهجة الى الحكومة الايطالية وهددها باستخدام القوة لمنع تنفيذ هذا المشروع لانه من وجهة نظر فرنسا انتهاكا للحقوق الفرنسية في تونس،وكان رد فعل ايطاليا تجاه هذا التهديد ارسال قطع من أسطولها الى سواحل تونس وكما كانت ترى أن المظاهرة البحرية كفيلة بايقاف الحكومة الفرنسية عند حدهافرأت فرنساوسط هذه الظروف وحتى لاتتطور الأمور الى ماهو أسوء من ذلك أرسلت تعليمات الى القنصل روستان تتضمن مشروع معاهدة حماية[2] مقترحة يجب عرضها على الباي فورا،لكن قوبل هذا المشروع بمعارضة ونفور الباي محمد الصادق،فقد عبر القنصل روستان عن هذا الرفض قائلا:<<**لقد صدمنا الباي ،وبدلا من أن يظهر لنا روح المودة والصداقة اتجاهنا أظهر روح التعصب وفسر المعاهدة تفسيرا دينيا**>> كما اقترح روستان على حكومته اتباع لهجة التهديد مع الباي على التخلي عن هذا الرفض لكن لم يجد أذانا صاغية من حكومته ،وهكذاباءت محاولة فرض الحماية الفرنسية على تونس بالفشل واستمر التحدي الايطالي لها[3].

[1] ناهد ابراهيم دسوقي ، المرجع السابق ، ص 239.

[2] نفسه ،نفس الصفحة 241.

[3] نفسه ،ص243.

3) التواجد الانجليزي في تونس

ففي نفس السياق دائما نتكلم عن مجهودات الدول الأوربية لابقاء مصالحها ونفوذها على الايالة التونسية وهنا نبرز سياسة انجلترا التي عمل قنصلها "رتشاردوود" على تنفيذها فهي قائمة على المحافظة على الدولة العثمانية وايالاتها في الوضع الراهن[1].

بطيبعة الحال اتخذت انجلترا هذه السياسة حتى لايفتح المجال لغيرها من الدول المنافسة (فرنسا،ايطاليا) على وجه الخصوص للحصول على أية مزايا في تونس[2] ،فقد كانت هذه المسألة من عوامل الاختلاف بين انجلترا وفرنسا، فبينما حاولت هذه الأخيرة القضاء على الوجود العثماني في تونس[3]، كانت انجلترا تعمل على العكس من ذلك وحريصة على الاعتراف بأن تونس ايالة عثمانية بالرغم من التهديد الذي لحقهامن فرنسا[4] ،فسياسة انجلترا تحمل أهداف مستقبلية مختلفة عما كانت تظهره في بادئ الأمر ومن ذلك نجد أنها قامت باحباط محاولة ايطاليالغزو تونس سنة 1871م، لكن ايطاليا تحتمت على التعاون مع فرنسا –مؤقتا–لاقناع الباي للاعلان عن استقلاله عن الدولة العثمانية[5].

---

[1] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،ص298.

[2] نفسه ،ص299.

[3] كانت مقاومة السياسة الفرنسية في تونس احدى المهام التي تطلبت اهتماما دائما من جانب الدبلوماسية العثمانية في الفترة مابين 1841–1845م فقد شجعت الحكومة الفرنسية التوجهات الانفصالية لباي تونس ،وسعت لأن يقوم بتوسيع حدود بلاده ،أملة أن يؤدي ذلك الى تقوية موقف فرنسا في حوض البحر الأبيض المتوسط ،أنظر نينل الكسندروفنادولينا، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية، مرجع سابق ،ص145.

[4] ناهد ابراهيم دسوقي ،مرجع سابق ،ص233.

[5] هشام سوادي هاشم ،تاريخ العرب الحديث 1516–1918م من الفتح العثماني الى نهاية الحرب العالمية الأولى،مرجع سابق ،ص174.

وفي هذه الاثناء حاول حكام تونس الاستفادة من روح النزاع والمنافسة بين فرنسا وايطاليا من جهة وبينهما وبين انجلترا من جهة أخرى للمحافظة على استقلال البلاد السياسي[1] ،فقد كان موقف انجلترا ابان هذا التنافس يهم فرنسا أكثر من أي دولة أخرى لأنها كانت تدرك بعدم استطاعتها على اتخاذ أي حركة ايجابية حاسمة في تونس الا اذا ضمنت عدم وقوف انجلترا في طريقها[2].

وعندما ظهر لأنجلترا عدم قدرة الدولة العثمانية على الحفاظ على استقلالها وتكامل ممتلكاتها ٪خصوصا بعدما أعلنت روسيا الحر عليها سنة 1877م، فهنا عمدت انجلترا الى استغلال هذه الحرب وعلى سياسة التعويض أي حصول انجلترا من الدولة العثمانية ثمن مقابل وقوفها سابقا معها ضد مطامع القوى الأوربية الأخرى[3].

فقامت بالعمل من أجل اختيار أحسن المناطق العثمانية وأكثرها فائدة من أجل السيطرة عليها وضمها للأملاك الخاصة ،حيث وقع الاختيار على أخيرا على قبرص[4]، ومن أجل هذا دخلت انجلترا والدولة العثمانية في مفاوضات ميزها الطابع السري ،فتم الاتفاق على عقد معاهدة سنة 1878م تقرر بموجبها أن تحتل انجلترا قبرص وتقيم فيها ميناء حربيا وحامية انجليزية على أن تظل ولاية عثمانية وتتعهد بريطانيا مقابل ذلك بضمان مصالح الدولة العثمانية في آسيا[5]

---

[1] هشام سوادي ، المرجع السابق ،ص175.

[2] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،ص302.

[3] يوسف حسين يوسف عمر ،بريطانيا العظمى واتفاقية قبرص 1878م، مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية ،ع1،جامعة الأقصى ،غزة ،فلسطين ،جانفي ،2013،ص510.

[4] تقع جزيرة قبرص في الزاوية الشرقية للبحر المتوسط بين أسيا الصغرى وسوريا ومساحتها 9،250 كم^2 أي أنها أصغر من صقلية وسردينيا،يزيد عدد سكانها 600،000 نسمة78 ٪ يونلنيين و22٪ أتراك،أنظر حفيظ عدنان ، السألة الشرقية القبرصية في المؤتمرات الاسلامية ،بيروت 1991.ص32.

[5] يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ،ص511.

ثالثا) الحماية الفرنسية على تونس

1) الظروف الممهدة لفرض الحماية

لقد استغلت فرنسا جملة من الظروف وذلك لتحقيق هدفها الأساسي وهو احتلال تونس ويكمن أن نقسم هذه الظروف الى :

أ) الظروف الدولية

وهنا يستوجب علينا وسط هذه الظروف أن نتكلم عن مصير تونس في نتائج مؤتمر برلين الأول 1878م[1] ، فقد كانت المساومات بين القوى الأوربية على مناطق النفوذ المحور الأساسي لهذا المؤتمر كما هو الحال بالنسبة لتونس فقد اتضح مصيرها في قول وزير خارجية انجلترا مصرحا لفرنسا :<<**ان النظام الحالي لايمكن أن يستمر الى مالا نهاية ،وفي رأيينا فان تحديث البلاد متروك لكم أنتم الى من تتركون قرطاج ؟ في أيدي البرابرة؟ ...افعلو في تونس ماتريدونه فان انجلترا لن تعترض طريقكم...**[2]>>هكذا وعد البريطانيون أنهم لم يقفوا أمام فرنسا في تونس مقابل موافقة فرنسا على احتلال قبرص من طرف بريطانيا[3]،

---

[1] تم عقد مؤتمر برلين بين 13 جوان الى 13 جويلية 1878م ، ببرلين وكان سرأسه المستشار الألماني بسمارك ،حضر هذا المؤتمر عدد من الدول للمشاركة فيه وذلك لمناقشة العديد من القضايا أهمها ماتعلق بالمسألة الشرقية وتداعيات هزيمة الدولة العثمانية أمام روسيا في حرب 1877م ،فدامت المباحثات عدة أسابيع وانتهى بعد ذلك بتفاهم دول أوربية عن تنازل لبعضها البعض لمناطق النفوذ .أنظرعبد النمال الدليمي ، بسمارك ودوره في رسم السياسة الخارجية لألمانيا1871-1890م ،مجلة كلية الأداب ،ع98، كلية الأدب ،قسم التاريخ ،الجامعة الاسلامية ، بغداد ،دس ،ص118.

[2] نور الدين صحراوي ،مرجع يابق ،ص85.

[3] نمير طه ياسين ،مرجع سابق ،ص104.

ودائما في نفس السياق نتكلم عن هذه النتائج فمن جهة ألمانيا كان لها هي الأخرى موقف حاسم بالنسبة لمصير تونس وهو ماصرح به أيضا المستشار الألماني "بسمارك[1]"للسفير الفرنسي ببرلين قائلا < **اني أعتقد أن الاجاصة التونسية قد نضجت وآن لكم أن تقطفوها[2]** > وهذا التصريح في الحقيقة له هدف عظيم أراد بسمارك ان يحققه من وراء هذا التصريح ويتمثل في صرف الفرنسيين عن التفكير في استعادة منطقة الألزاس واللورين وصرف التفكير في شن حرب انتقامية ضد ألمانيا بعد هزيمتهم أمامها عام 1870م،وهكذا يمكن القول بأن فرنسا صارت تتصرف بحرية في تونس منذ أن تخلت ألمانيا وانجلترا عنها،وماكانت ايطاليا لتتخلى بالطبع عن مطامعها في تونس إلا أنها لم تلقى دعما فعليا كما وجدته فرنسا[3].

ب) الظروف المحلية

تتثمل هنا أهمية الظروف المحلية في ايجاد فرنسا لسبب مباشر لبداية التدخل العسكري في تونس وهنا تظهر حقيقة الخلفيات الرامية للاحتلال منذ زمن بعيد بشكل جلي ،وتتمثل هذه الذريعة في ضرورة حماية الحدود الجزائرية لتبرير تدخلها في تونس مدعية أن هذه الحدود تتعرض باستمرار لهجومات القبائل لتونسية وبالخصوص من قبائل بنو خمير[4] .

---

[1] علي المحجوبي ،انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،مرجع سابق ،ص35.

[2] ولد أوتفون بسمارك عام 1815م من أسرة بروسية نبيلة في مقاطعة برندتبرج،أنهى حياته العلمية في برلين ،قلد العديد من المناصب القضائية فوصل الى رئاسة الوزارة البروسية عام1822م وكان من المتحمسين للوحدة الألمانية وسعى الى تحقيقها ،أنظر خالد الدليمي ، المرجع السابق ،ص97.

[3] علي المحجوبي ، مرجع سابق ،ص36.

[4] نفسه ،ص40.

وقامت فرنسا بتضخيم هذه المشكلة بحيث أظهرت أن هذه القبائل قد أفلتت من يد حكومة الباي التونسي وأنها منذ زمن طويل تشق عصا الطاعة على حكومته ولاتخضع لسلطانها ,انها تشن غارات باستمرار على القرى والمدن الجزائرية القريبة ثم تفر الى أوكارها في الجبال التونسية مما يكبد الفرنسيين خسائر جسيمة[1]، فاسراعا لتنفيذ مخططها أصدرت الحكومة الفرنسية الأوامر الى الحاكم العام بالجزائر بالاسراع من الانتهاء لمد الخط الحديدي الذي يربط الجزائر بتونس ليسهل نقل الجنود والمؤن[2] ،فأخذت بعد ذلك تعد الرأي العام سواء في فرنسا ذاتها أو في الخارج للقيام ماتنوي فعله من أعمال ضد تونس حتى لايكون الأمر مفاجأة لاحد[3] ،لذلك تم عرض مسألة التعدي الحدود الجزائرية على البرلمان الفرنسي وتم طلب منه اعتمادات قيمتها خمسة ملايين فرنك لتنظيم حملة عسكرية فرنسية لمعاقبة هذه القبائل فصادق أعضاء البرلمان في7أفريل1881م دون اعتراض[4]،ففي الحقيقة لايتطلب هذا الأمر كل هذه الاجراءات لكنها بداية الاحتلال التونسي ويتبين هذا على حد تعبير السلطات الفرنسية ذاتها <<لاتمثل في النهاية سوى فرصة انتهزناها بسرعة للخروج من وضعية متردية ولتحقيق أهداف سياسية أسمى وأكثر أهمية[5]>>،وهنا لم يبقى لفرنسا سوى اعطاء أوامر التحرك للقوات الفرنسية نحو تونس والتي كانت تقدر بحوالي 30000 جندي فرنسي من القرات البرية وانطلقت من الجزائر، و8000 جندي من القوات البحرية[6]

---

[1] شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير من الفتح العربي الى الوقت الحاضر،، مرجع سابق ،ص304.

[2] نفسه ، نفس ص304.

[3] نفسه ،ص305.

[4] علي المحجوبي ،مرجع سابق ،ص41.

[5] نفسه ،نفس ص41.

[6] هشام سوادي هاشم ، تاريخ العرب الحديث ،مرجع سابق ،ص 174.

انطلقت من ميناء طولون وقامت بحركات عسكرية سريعة مكنتها من الاستيلاء على ميناء تونس في 12 ماي 1881م[1] .

2) التوقيع على معاهدة الحماية (معاهدة الباردو)

بعد وصول القوات العسكرية الى قصر الباردو (مقر اقامة الباي الصادق) الذي يبعد 20 كلم من تونس ،وفي الساعة الرابعة بعد الظهر قدم القنصل العام الفرنسي مع القائد "باريار" الى الباي محمد الصادق نسخة من معاهدة الحماية[2]، وكان المطلوب التوقيع عليها،وأُعطيت_للباي مهلة حتى الساعة التاسعة مساءاً لقبول المعاهدة أو رفضها[3](انظر الملحق 8) .

فكان الباي في هذه الأثناء يرفض فكرة الحماية على بلاده آملا في أن تتدخل الدول الأوربية وتقف الى جانبه أو أن يرسل السلطان العثماني أسطوله الى تونس لكن ذلك لم يحدث[4]. واجتمع الباي مع كباررجال دولته وعرض عليهم الأمر ،وكان الحاضرون يميلون الى الرفض واعلان المقاومة والجهاد وتعبئة الشعب التونسي لذلك، لكن ذلك لم يجد آذانا صاغية أمام التهديد الفرنسي بخلع الباي محمد الصادق وتنصيب أخيه مكانه إذا رفض التوقيع على المعاهدة[5] .

---

[1] هشام سوادي هاشم ، المرجع السابق ، نفس ص174.

[2] يقسم فقهاء القانون الحماية الى قسمين ،حماية إ ختيارية وتسمى في القانون بالحماية العادية وتكون باتفاق دولة مع دولة أخرى أقوى منها على أن تضع الأولى نفسها تحت حمايةالثانية لتتولى الدفاع عنها ولتقوم برعاية مصالحها الخارجية والنوع الثاني هو الحماية القهرية ويصطلح عليها بالحماية الاستعمارية وهي تفرض على الدولة المحمية ويكون الغرض منها عادة كما يدل على ذلك إسمها –التمهيد لإستعمار الدولة المحمية– لأنها فُرضت من طرف واحد وبالتالي لاتستند إلى أساس شرعي، أنظر يونس درمونة ، تونس بين الحماية والإحتلال ، مكتب تونس الحرة ، دن ،دس ،ص19.

[3] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،ص306.

[4] راغب السرجاني ، قصة تونس من البداية الى ثورة 2011م ،دار أقلام للنشر والتوزيع ،القاهرة ،2011،ص21.

[5] نفسه ،ص23.

وأمام هذه الظروف لم يكن أمام الباي سوى الرضوخ وأمضى معاهدة الحماية التي تكرس في حقيقتهاالهيمنة الفرنسية في البلاد التونسية[1](أنظر الملحق 9).

إحتوت هذه المعاهدة على عشرة بنود تنص على موافقة الباي على إحتلال فرنسا لبعض المناطق في تونس بدعوى المحافظة على الأمن ورعاية حسن الجوار، وعدم إنهاء الحماية إلا بموافقة الطرفين ،وأن تتولى فرنسا تمثيل تونس ورعايا مصالحها ومصالح رعاياها في الخارج ،وأن يتم إبلاغ فرنسا بأي إتفاق مع دولة أخرى للحصول على موافقتها مسبقا[2]، وتعهد فرنسا بمساعدة الباي وحمايته هو وعائلته من أي خطر يهدده أو يهدد مملكته هذا حسب البند الثالث من المعاهدة وتعيين مقيم فرنسي يكون واسطة بين الدولة الفرنسية وتونس حسب البند الخامس منها ،كما فرضت حتى غرامة مالية على القبائل المتمردة على الحدود وبالداخل[3].

فمعاهدة الباردو في مظهرها لا تُشعر بحقيقة الأهداف الإستعمارية التي كانت ترمي إليها فرنسا فقد صيغت موادها بطريقة توحي كأنها لاتمس صميم إستقلال تونس وحقوقها كإيالة مستقلة لكن التحليل الدقيق لموادها يوِّضح كيف أنها سلبت تونس كل مقومات الدولة المستقلة ،فهي تعطي الحق للقوات الفرنسية حق إحتلال المراكز التي تراها صالحة لإستتباب الأمن[4]. ويبقى احتلالها ساريا الى أن يتفق الطرفين على ألا ضرورة لهذه الحماية[5].

---

[1] علي المحجوبي ،انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، مرجع سابق ،ص44.

[2] زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص143.

[3] نفسه ،نفس ص143.

[4] شوقي عطاالله الجمل ، مرجع سابق ، ص306.

[5] سالم برقوق ،استراتيجية فرنسا في المغرب العربي ،محاضر في كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر ،2009.ص51.

(حسب البند الثاني من المعاهدة) وغيرها من البنود التي حدت سلطة الباي وجلعت منه إسما شرفيا فقط[1]. ثم فكر الفرنسيون في أحسن الوسائل لهجرة العنصر الأوربي الى تونس والإستيطان بها فشجعت الإستعمار الحر في مجال الأراضي الزراعية ومن هنا فتحت باب الهجرة الى تونس وكان أبرز المهاجرين من كبار الرأسماليين الذين يشغرون مساحات واسعة ويجرونها للسكان الأصليين أو للأوربيين من جنسيات أخرى[2] .

3) بداية المقاومة التونسية للإحتلال الفرنسي

الظاهر أن إحتلال فرنسا لتونس في بادئ الأمر دون مقاومة تقريبا قد جعل الفرنسيين يعتقدون بأن أمرهم قد إستقر، لذلك قبل قائد الحملة "باريار" بطلب الباي بعدم دخول القوات الفرنسية الى العاصمة[3]،ولكن بمجرد التوقيع على معاهدة الباردو وشاع الخبر بذلك تفجر الشعور الوطني غضبا على أولادحسين (أسرة الباي) الذي أُعتبروا خونة سلموا البلاد لفرنسا وانطلقت الثورة الشعبية ضد الاحتلال وتنادى الناس بالجهاد ضد الباي وجنوده من جهة وضد القوات الفرنسية من جهة أخرى[4]. فالشعب التونسي لم يرضخ بيسر لإحتلال فرنسا لبلاده وفرضها قيود المعاهدة على سيادته وسلبها حقوقه وموافقة الباي على ذلك سواء كان قد أُرغم على توقيع المعاهدة أوقبل ذلك طواعية فأخذت روح الثورة والكفاح تنتشر في البلاد[5]

---

[1] سالم برقوق، المرجع السابق ، نفس ص 51.

[2] ناهد إبراهيم دسوقي ،دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سابق ،ص247.

[3] قدادرة شايب ، الحزب الدستوري التونسي وجزب الشعب الجزائري 1934-1954م دراسة مقارنة ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة متوري ،قسنطينة ،الجزائر ،2006-200،ص31.

[4] الطاهر عبد الله ،الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ، مرجع سابق ،ص27.

[5] شوقي عطاالله الجمل ،مرجع سابق ،ص 307.

بسرعة ومازاد من انتشارها تلك الإشاعات التي تقضي بقرب وصول نجدات تركية لطرد القوات الفرنسية فزادت من حماس القبائل التونسية حول التمرد على فرنسا[1]. ونظرا للانتشار المتزايد للجيوش الفرنسية واجتياحها لعدة مناطق تونسية هبت عدة قبائل لتعطيل تقدمه ومواجهته ومن هذه القبائل نجد قبيلة جلاص وماجر والفراشيش وغيرها وقد نسيت آنذاك خلافاتها السابقة فاتحدت ضد العدو المشترك وأخذت بالتشاور في ما بينها حول كيفية القضاء على الزحف الفرنسي المتواصل[2] فتزعم حركة المقاومة قواد عديدة وفي مقدمتهم علي بن خليفة الذي نصب مقر قيادته العامة في منتصف شهر جوان بالقرب من مدينة صفاقس التي أصحبت مركز رجال المقاومة لأن بعد وقت قصير إلتحقت بهم قوات جلاص والمثاليث وألاذ عزيز من قبيلة همامة وغيرهم[3]. وتكمن هؤلاء المقاومين من إدخال الرعب مرات عديدة في صفوف العدو فنذكر البعض من الإنتصارات التي خلدها التاريخ التونسي لهذه القبائل في 26 أوت 1881م هاجمت قبائل الجلاص والهمامة المعسكرات التابعة لكتيبة المقدم "باريار" المرابطة آنذاك ببئر حفيظ قرب قرمبالية وردوها على أعقابها[4].مثل هذه المعارك عرقلت زحف القوات الفرنسية في عدة مناطق تونسية ولو لفترة وجيزة ومثل هذه الإنتصارات كانت حافزا لرجال المقاومة دفعهم الى مواصلة الهجومات على القوات الفرنسية لتحدث مناوشات أخرى بين قبائل الجلاص والهمامة وغيرهما بمنطقة زغوان مع حامية فرنسية[5].

---

[1] شوقي عطاالله الجمل ، مرجع سابق ، نفس ص307.

[2] أحمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956م ، تر،حمادي الساحلي ،الشركة التونسية للتوزيع ،قرطاج تونس ،1986، ص24.

[3] نفسه ،ص26.

[4] علي المحجوبي ، مرجع سابق ، ص47.

[5] نفسه ، نفس ص47.

فخربت هذه المنطقة بسبب المعركة التي كانت نتيجتها القبض على خمسة عشر من أعيان هذه القبيلة كريهنة وفرض غرامة مالية على سكان المنطقة على أنهم متواطئين مع المقاومين وإلحاق هزيمة فادحة بالقوات الفرنسية المرابطة بزغوان[1].ويتضح مما سبق ذكره أن مقاومة التونسيين للاحتلال الفرنسي كانت نابعة بالدرجة الأولى من الجبال والبوادي والأرياف فهؤلاء لعبوا دورا كبيرا في هذه الحركة، أما بالنسبة للمدن كبنزرت والقيراوان والكاف وغيرها فقد استسلموا على العموم للعدو دون مقاومة.[2] وهنا لاننسى دور العلماء في تونس في مواجهة الإحتلال فمنهم من عبر عن عدائه لانتصاب الحماية الفرنسية وذلك بتخليهم عن مناصبهم أو الهجرة الى البلدان الإسلامية الأخرى، فقد حاول العلماء التونسيون مقاومة الإصلاحات التي تعطي إمتيازات لفرنسا وهذه الإمتيازات ُطبقت شيئا فشيئا وهذا من شأنه إضعاف دور العلماء تدريجيا، فمثلا في ميدان التعليم إستطاع "لوي ماشوال" (مدير التعليم العام) في السيطرة على الكتاتيب القرآنية[3].

[1] علي المحجوبي ، مرجع سابق ،ص48.

[2] علي المحجوبي ،مرجع سابق ،ص55.

[3] أرنلر ڤرين ،العلماء التونسيون وإنتصاب الحماية الفرنسية على تونس 1881-1892م ، تع ، التميمي ، المجلة التريخية المغربية ، ع1،تونس، جانفي 1974، ص74.

خاتمة

إن من خلال هذه الدراسة توصلنا الى جملة من النتائج نذكرمنها:

أن تونس منذ إسترجاعها من الإسبان و وحمايتها من الحملات الصليبية بقيت إيالة عثمانية بالرغم من محاولات بايات الأسرة الحسينية من الإنفصال عن الدولة العثمانية فهي بذلك تدين بالدين الإسلامي وهو دين الدولة العثمانية وتمتثل لأوامرها وهذا ما تبين خلال تطبيقها للحركة الإصلاحية في تونس عند طلب السلاطين العثمانيين لذلك كما كان وراء هذه الحركات الإنفصالية التشجيع الفرنسي فهذا من جهته يبين لنا علاقة تونس بالدولة العثمانية.

وإن العلاقات التونسية الفرنسية فقد كانت قائمة منذ زمن بعيد إلا أنها ظهرت بشكل جلي خلال فترة الإصلاح التونسي (1839م)التي أدت الى الزيارات المتكررة لبايات تونس لفرنسا إذ تأثروا بمظاهر الحضارة هناك فأراد هؤلاء البايات تقليدها في تونس فهنا يمكننا القول أنهم أرادوا النهوض ببلادهم بمختلف المجالات وهذا من باب حسن النية لكن هناك أمور لم تكن في الحسبان وهو كيفية القيام بهذه الإصلاحات ومدى تحمل مالية الإيالة التونسية أعباء هذه الحركة الإصلاحية والسير مع ركب الحضارة الغربية لكنها كانت مجرد تقليد أعمى من خلال السير وراء خطى فسيفساء الحضارة بالرغم من أن تفكير البايات هوالذي كان يحتاج الى الإصلاح ليكون بذلك التدبير الحسن في مصير الشعب التونسي.

أيضا عرفنا أن من مظاهر العلاقات التونسية الفرنسية هو حضور الفرنسيين في كافة مؤسسات الإيالة التونسية وحتى في الجوانب الحساسة بالنسبة لبلد مستقل وهو الجانب العسكري فقد كانت مجموعة من الضباط الفرنسيين تشرف على مهمة التدريب لجند الإيالة التونسية فالجانب العسكري كان من المفروض أن يكون من أكثر الأمور سرية في الإيالة كونه معيار أساسي لقوة الدول من ضعفها.

كما نستخلص أن فرنسا من خلال علاقاتها مع تونس في فترة الإصلاح استطاعت أن تلعب دور المحافظ على المصالح التونسية أكثر من أي دولة أوربية أخرى بل حتى من الدولة العثمانية في حد ذاتها فكانت تظهر العلاقات الودية لكن هذا ما كان ظاهرا أما في الحقيقة ماخفي فهو أعظم والعكس من ذلك فقد كانت تترصد الفرص وتعمل على تحقيق خلفيات سياسية كانت دفينة منذ احتلالها للجزائر عام1830م فأرادت بذلك تحقيق مطامحها الإستعمارية في كافة الشمال الإفريقي وذلك بالإستيلاء على تونس أيضا.

كما أن مواصلة البايات لنهجهم الإصلاحي بالرغم من أن الإقتصاد التونسي عرف إضطرابا حادا فكان هنا من المفروض إتخاذ التدابير اللازمة لإيجاد سبيل يفي بالغرض لكن الأمر حال دون تحقيق ذلك فإتجهت الإيالة الى الإستدانة مرارا أدى بها ذلك الى عدم قدرتها على إسترجاع الديون لتصبح تونس بعد ذلك تحت رحمة الدول الأوربية عامة وفرنسا على وجه الخصوص لأنها كانت صاحبة السيادة في اللجنة المالية التي كانت تراقب مالية الإيالة وتتحكم في كل مايتعلق بهاوهو مظهر من مظاهر النفوذ المالي .

فقد توصلت أيضا الى أن فتح باب الهجرة الأوربية الى تونس هو في الحقيقة فتح باب التكالب والنفوذ الأوربي على الإيالة وذلك من خلال صدور قانون عهد الأمان ومامنحه من حقوق للأجانب من التجارة والتملك وغيرها جعل من التونسيين شعبا مغتربا في وطنه أمام أصحاب الأموال التي وجدت طريقا ممهددا لإستثمارها في حين نجد أن هؤلاء الأوربيين يتهربون من أداء واجباتهم وخاصة فيما يتعلق بأداء الضرائب واحتمائهم وراء قناصلتهم ، ومقابل هذا عندما قرر هؤلاء البايات النظر الى الجانب الإقتصاددي والرفع من مستواه قاموا برفع أداء (المجبى) – الضريبة– التي أثقلت من كاهل المواطن التونسي أدى هذا الإجراء الى جر البلاد الى إضطرابات عنيفة تمثلت في ثورة بن غذاهم ومانتج عنها زاد من سوء الحالة الإقتصادية في تونس كما زادت من ظهور التنافس الأوربي على الإيالة وذلك بإستظهار كل دولة أوربية (فرنسا –ايطاليا–انجلترا) لمدى قوتها العسكرية بإرسال الأساطيل والسفن الحربية لميناء تونس

كما نستخلص أن فرنسا كانت تسعى لتحقيق هدفها وهو احتلال تونس مهما كلفها الأمر فقد وصلت الى مجازفة كادت توصلها الى الدخول في حرب مع ايطاليا وذلك من أجل التنافس على الحصول على الإمتيازات بتونس بحيث بدأت الدولة الايطالية تؤهب قواتها العسكرية لولا تراجع فرنسا وإتخاذ أسلوب أخر وهو إقتراح الحماية على الباي حتى يكون لها مبرر شرعي وموقف دولي مساند لها لحماية تونس من الأطماع الخارجية وخاصة ايطاليا ولكن حال هذا الأمر دون تحقيقه وذلك برفض الباي للحماية .

كما نجد أن فرنسا إستفادة من تجربتها الأولى لفرض الحماية التي كانت بأسلوب الإقتراح على الباي لكن بعد مؤتمر برلين 1878م كانت فرنسا قد كسبت تأييد دولي يهدف الى أن تونس هي من نصيب فرنسا لتجد هذه الأخيرة سبب مشاكل القبائل بين الحدود التونسية الجزائرية لتكون ذريعة لفرض معاهدة حماية لكن هذه المرة تحت ضغط التهديد اذ دخلت قوات برية وبحرية عسكرية فرنسية الى تونس وصولا الى قصر البارود أين تم إمضاء المعاهدة سنة 1881م.

كما نجد أن إمضاء الباي محمد الصادق على معاهدة الإستسلام لم يكن خياره الوحيد ولكن يمكن أن نقول لضعف شخصيته كسابقيه لأن رجال إيالته إقترحوا عليه عدم الرضوخ وتعبئة أوساط الشعب التونسي على المقاومة ، كما أن التهديد بعزله وتنصيب أخيه مكانه إن لم يُوقع المعاهدة ، ليس بالمبرر الكافي للرضوخ ولكن نظرته الأنانية وحبه لمكانته أرغمتة على الإمضاء و َسلم تونس الى فرنسا دون مقاومة .

الملاحق

الملحق رقم:(01) خريطة تونس الجغرافية قبل الإحتلال الفرنسي

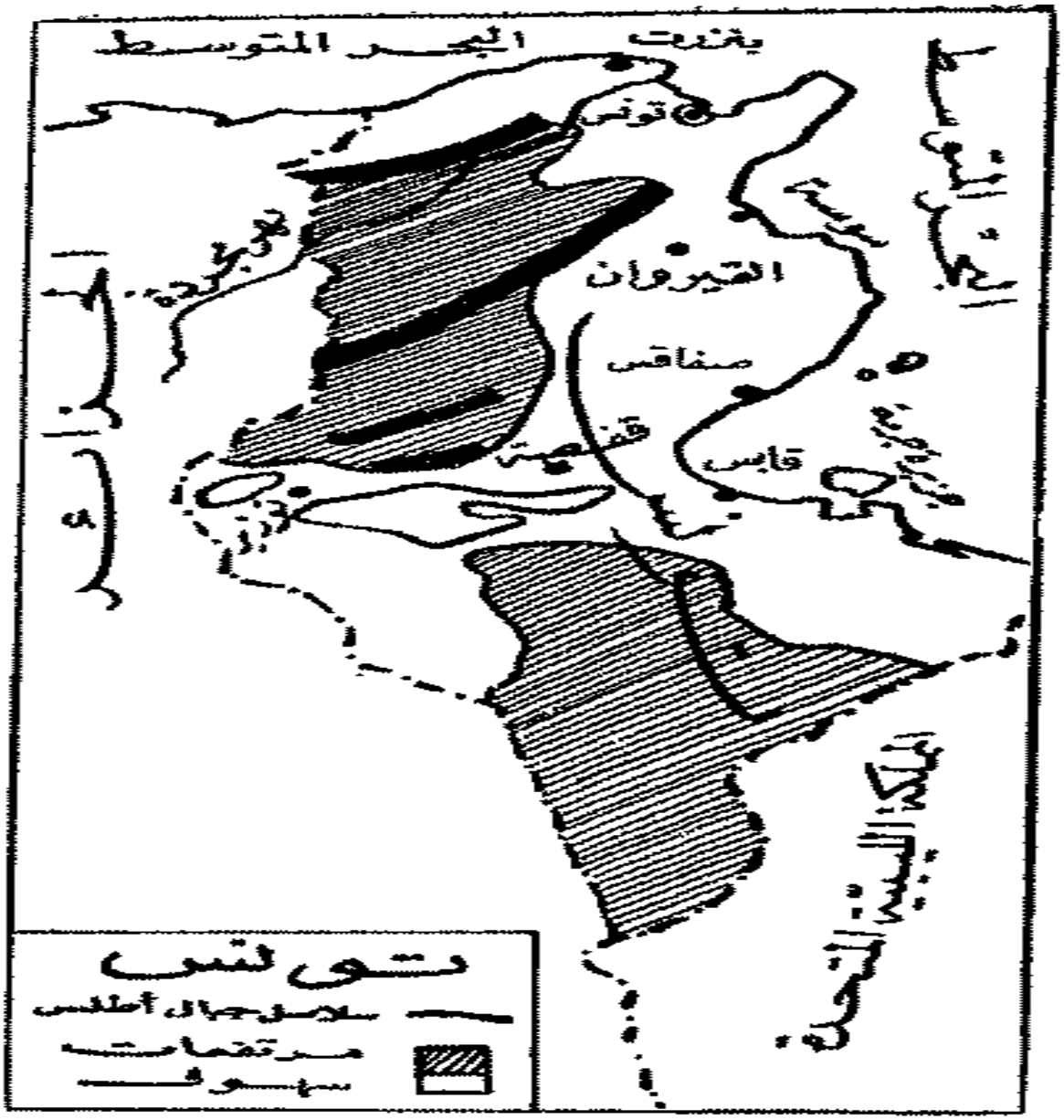

حسن محمد جوهر ، مرجع سابق ،ص6.

الملحق رقم :(2) أسماء بعض الطلبة المصريين في فرنسا في اطار البعثات العلمية

عدد	الاسم	البلد المولود به	السن	العلم المرسل له
٥	ماقبله.....			
١	رشيد أفندى	أباظيا	٢٤	الأدارة الحربية
١	أحمد أفندى	قوله	٢٥	« «
١	سليمان أفندى.....	شركسى	١٨	« «
١	حسن أفندى.....		٣٧	الأدارة البحرية
١	محمود أفندى.....	شركسى	٢١	« «
١	محمد شنان أفندى.....	«	٢٠	« «
١	اصطفان أفندى أرمنى مسيحى	سباسطيا	٢٢	السيـــاسة
١	خسرو « أرمني مسيحي	الآستانة	١٨	«
١	مصطفى محرمجي.....	القاهرة	١٧	قوى المياه Hydraulique
١	محمد بيومى	«	١٧	« « «
١	الشيخ احمد العطار....	«	٢٧	العلوم الميكانيكية

عمر طوسون ، البعثات العلمية في عهد محمد علي باشا ،مرجع سابق،ص 27.

الملحق رقم:(3) الفرق العسكرية المحدثة في عهد أحمد باي

أنواع الفرق العسكرية وتوزيعها في عهد أحمد باي

ا - الفرق النظامية المحدثة

نوع الفرقة وعدد أفرادها	أرقام الفرق	مكان إقامة الفرقة	لون علم الفرقة
ا - المشاة عددهم : 18900 جندي	الآلاي الأول الآلاي الثاني الآلاي الثالث الآلاي الرابع الآلاي الخامس الآلاي السادس الآلاي السابع	تونس سوسة المنستير القيروان مرافقة الباي " " غار الملح	أحمر فاقع
2 - المدفعية تضم : 5800 جندي	الآلاي الأول " الثاني " الثالث " الرابع	تونس وباردو وحلق الوادي موزعة على أبراج البلاد	أحمر
3 - خيالة تضم : 1000	لواء واحد	منوبة	بنفسجي

عبد الجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد صادق باي ،مرجع سابق، ص52.

الملحق رقم : (4) خير الدين التونسي

أحمد أمين ،موسوعة زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق ،ص15.

الملحق رقم:(5) فصول قانون عهد الأمان 1857م

الفصل ١ ـ تأكيد الأمان لسائر رعيتنا وسكان إيالتنا على اختلاف الأديان والألسنة والألوان في أبدانهم المكرمة وأموالهم المحرمة وأعراضهم محترمة إلا بحق يوجبه نظر المجلس بالمشورة ويرفعه إلينا ولنا النظر في الإمضاء والتخفيف ما أمكن أو الإذن باعادة النظر (١) .

الفصل ٢ ـ تساوي الناس في أصل قانون الأداء المرتب أو ما يترتب وإن اختلف باختلاف السكنى بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته ولا يحط من الحقير لحقارته ويأتي بيانه موضحا .

الفصل ٣ ـ التسوية بين المسلم وغيره من سكان الإيالة في استحقاق الإنصاف أن استحقاقه لذلك بوصف الإنسانية لا بغيره من الأوصاف والعدل في الأرض هو الميزان المستوى يؤخذ به المحق من المبطل والضعيف من القوى .

الفصل ٤ ـ إن الذي من رعيتنا لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع من إجراء ما يلزم ديانته ولا نمتهن مجامعهم ويكون لها الأمان عن الإذاية والامتهان لأن ذمتهم تقتضي أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

الفصل ٥ ـ لما كان العسكر من أسباب حفظ النوع ومصلحته نعم المجموع ولا بد للانسان من زمن لتدبير عيشه والقيام على أهله فلا نأخذ العسكر إلا بترتيب وقرعة ولا يبقى العسكري في الخدمة أكثر من مدة معلومة كما تحرره في قانون العسكر (١) .

الفصل ٦ ـ إن مجلس النظر فى الجنايات إذا كان الحكم فيه بعقوبة على أحد من أهل الذمة يلزم أن يحضره من نعينه من كبرائهم تأنيسا لنفوسهم ودفعا لما يتوقعونه من الحيف والشريعة توصى بهم خيرا [٢] .

الفصل ٧ ـ أن تجعل مجلسا للتجارة برئيس وكاتب وأعضاء بين المسلمين وغيرهم من رعايا أحبابنا الدول للنظر فى توازن التجارات بعد الاتفاق مع أحبابنا الدول العظام فى كيفية دخول رعاياهم تحت حكم المجلس كما يأتى إيضاح تفصيله قطعا لتشعب الخصام [٣] .

الفصل ٨ ـ إن سائر رعيتنا من المسلمين وغيرهم لهم المساواة فى الأمور العرفية والقوانين الحكمية لا فضل لأحدهم على الآخر فى ذلك .

الفصل ٩ ـ تمريح المتجر لاختصاص لاحد به بل يكون مباحا لكل أحد ولا تتاجر الدولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها وتكون العناية بادانة عموم المتجر ومنع أسباب تعطيلة .

الفصل ١٠ ـ إن الواقدين على إيالتنا لهم أن يحترفوا بسائر الصنايع والخدم بشرط أن يتبعوا القوانين المرتبة والتى يمكن أن تترتب مثل سايرأهل البلاد لا فضل لأحدهم على الآخر بعد انفصالنا مع دولهم فى كيفية دخولهم تحت ذلك كما يأتى بيانه .

الفصل ١١ ـ أن الواردين على ايالتنا من سايرأتباع الدول لهم أن يشتروا سايرما يملكو من الدور والاجنة الأرضين مثل سايرأهل البلاد بشرط أن يتباعوا القوانين المرتبه والتى تترتب من غير امتناع ولا فرق فى أدنى شيء من قوانين البلاد وتبين بعد هذا كيفية السكنى بحيث أن المالك يكون عالما بذلك داخلا على اعتباره بعد الاتفاق مع أحبابنا الدولة فعلى عهد الله وميثاقه أن تجرى هذه الأصول التى سطرناها على نحو ما بيناها ووراها البيان لمعناها واشهد الله وهذا الجمع العظيم المرموق بعين التعظيم فى نفسى ومن يكون بعدى أن لا يتم له أمر إلا باليمين على هذا الأمان الذى بذلت فيه جهدى وجعلت فيه سائر الحاضرين من نواب الدول العظام وأعيان رعيتنا شهداء على عهدى والله يعلم أن هذا القصد الذى أظهرته وجمعت له هؤلاء الأعيان وشهرته هو ما أودعه الله فى نيتى وإجراء أصوله وفروعه فوراً .

عبدالعزيز الشناوي ،جلال يحي، المرجع السابق ،ص21-22.

الملحق رقم (6) خريطة إنتفاضة ماي 1864م

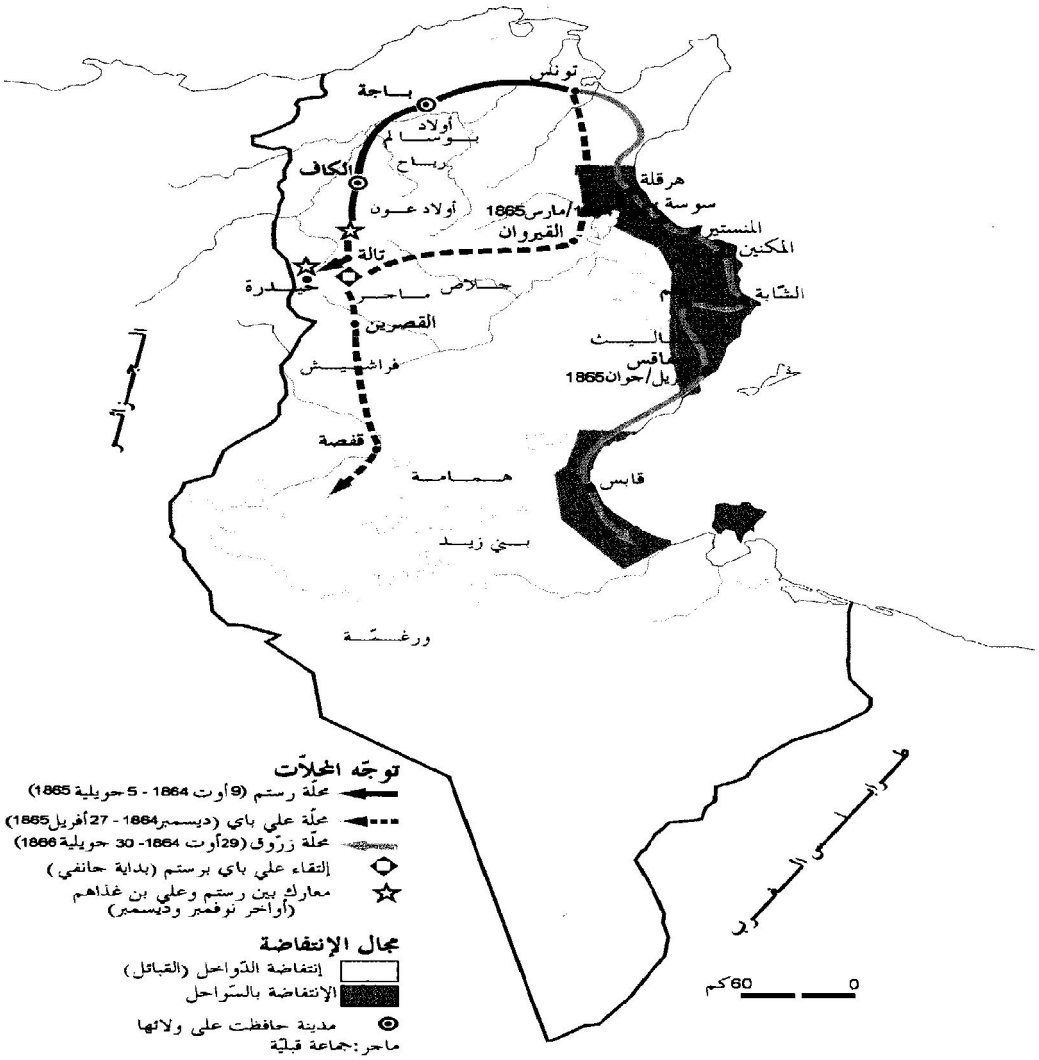

خليفة شاطر وآخرون ، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإسقلال ، ج،3،مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية ،تونس ،2005.ص15.

الملحق رقم :(7) رسالة القنصل الفرنسي دي بوفال الى علي بن غذاهم

كان القنصل الفرنسي (دي بوفال) يعمل على الحصول على نص رسالة بخط وخاتم علي بن غذاهم متضمنة كل المطالب التي نادى بها الثوار،وبها يطلب علي بن غذاهم توسط القنصل الفرنسي حتى تكون تلك الرسالة مبررا شرعيا لمساندته الثورة ، ومن هنا ندرك خطة دي بوفال عندما اقترح على ابن غذاهم أن يحرر له هاته الرسالة.

نور الدين صحراوي ، مرجع سابق ،ص 200.

الملحق رقم : (8)

موكب توقيع معاهدة الحماية ـ قصر السعيد 12 ماي 1881 .
(وزارة الإعلام)

أحمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر ، مرجع سابق ، ص16.

الملحق رقم : (09)

(٨) معاهده باردو

١٨٨١

إن دولة الجمهورية الافرنسية ودولة سمو باى تونس لما كان غرضهما أن يعنا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتى حصلت أخيراً على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات وداديهما القديم وروابط حسن الجوار ، قد اتفقا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين السامين المتعاقدين ، وبناء على ذلك فان فخامة رئيس الجمهورية الافرنسية قد عين جناب الجنرال بريار نائبا مفوضا من طرفه ، فاتفق جنابه مع سمو الباى المعظم على البنود الآتية :ـ

البند الأول : ان معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الآن بين الجمهورية الافرنسية وسمو باى تونس قد وقع تأكيدها وتمديدها

البند الثانى : لأجل تسهيل القيام بالاجراءات التى يتحتم على دولة الجمهورية الافرنسية اتخاذها للوصول إلى الغرض الذى يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضى سمو باى تونس بأن تحتل القوات الافرنسيه العسكرية المراكز التى تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل ، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان : الافرنسية والتونسية وتقرران معا بأن الادارة المحلية قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن .

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الافرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباى وحمايته من كل خطر يمكن أن يهدد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته .

البند الرابع : تضمن الدولة الافرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين الدولة التونسيه ومختلف الدول الأوربية .

البند الخامس : يمثل الدولة الافرنسية لدى سمو البـاى وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الافرنسية وبين السلطات التونسية فى جميع القضايا التى تهم الجانبين .

البند السادس : يكلف الممثـلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرانسة فى البلاد الأجنبيـة بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها وفى مقـابل ذلك يلتزم سمو الباى بأن لا يعقد أى عقد ذى صبغة دولية من دون اعلام الدولة الافرنسية والحصول على موافقتها مقدما .

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الافرنسية ودولة سمو الباى لنفسها بحق الاتفاق على وضع نظام مالى بالمملكة التونسية من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائنى المملكة .

البند الثامن : تفرض غرامة حربية على القبائل العاصية بالحـــدود والسواحل وتحدد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفاق يعقـد فيما بعد وتكون حكومة الباى هى المسئولة عن تنفيذ هذا الاتفاق .

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الافرنسية بالقطر الجزائرى من تهريب الأسلحـة والذخائر فان دولة سمو الباى تتعهد بأن تمنـع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربيـة لجزيرة جربة ومرسى قابس والمراسى الأخرى بالمملكة التونسية .

البند العاشر : سيقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الافرنسية للمصادقة عليها وتسلم الوثيقة المصدق عليها بعد ذلك لسمو باى تونس فى أقرب وقت ممكن .

وكتب فى بارود فى ١٢ يونيو ١٨٨١

محمد الصادق باى الجنرال بريار

عبد العزيز الشناوي،جلال يحي، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر،دار المعارف ،دن،1969،ص64.

البيبليوغرافيا

1)المصادر باللغة العربية

-ابن خلدون عبد الرحمان ،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج6،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،لبنان ،2000.

– ابن أبي الضياف أحمد ،أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،تح،لجنة الشؤون الثقافية،ج4، الدار العربية للكتاب ،تونس، دس.

-بيرم الخامس محمد ،صفوة الإعتبار بمستودع الأمصاروالأقطار، تح،علي بن الطاهر وآخرون ،ط2،بيت الحكمة ن تونس ،1999.

– هاينريش بارت ، سبع رسائل مخطوطة لهاينرش بارت عن رحلته لتونس 1845-1846م ، تح و،تع ،منير الفندري ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة ، تونس 1987.

-المراكشي عبد الواحد ،المعجب في أخبار المغرب ،تح،محمد سعيد العريان ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،الجمهورية العربية المتحدة ، دس.

-القيرواني الرقيق ،تاريخ افريقية والمغرب ،تق ،محمد زينهم،محمد عزب ،دار الفرجاني للنشر والتوزيع،دن ،1986.

-روش ليون ،اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ،تر، محمد خير محمود البقاعي ،جداول للنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان ،2011.

-التونسي خير الدين ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تق ،محمد الحداد ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ،2012.

2)المراجع باللغة العربية

-أبو حمدان سمير ، خير الدين التونسي النهضة ،دار الكتاب العالمي ،بيروت ،لبنان ،1993.

-الأيوبي إلياس ،محمد علي سيرته وأعماله وأثاره ،دار الهلال، مصر ،1923.

-أليكسندروفنادولينا ،الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينات وأربعينات القرن ال19م ،تر، أنور محمد ابراهيم ،المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2002.

-بن خوجة محمد الحبيب،شيخ الإسلام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور ،ج2، الدار العربية للكتاب ،تونس ،2008.

-البدري عبد الستار محمد ،المواجهة المصرية الأوربية في عهد محمد علي ،دار الشروق ،القاهرة ،2001.

-بن رجب رضا ، يهود البلاط ويهود تونس ،العثمانية (1685-1857م)،تق، عبد الحميد الأرقشي ،دار المدار الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،2010.

-برقوق سالم ، إستراتيجية فرنسا في المغرب العربي ،محاضر في كلية العلوم السياسية والإعلام ،جامعة الجزائر ،2009.

-جوهر محمد حسن ،شعوب العالم تونس ،دار المعارف ، مصر ،2011.

-دسوقي ابراهيم ناهد ،راسات في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ،دارالمعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر ،2011.

-درمونة يوسف ، تونس بين الحماية والإحتلال ، مكتب تونس الحرة ، دس .

-هورس مادلين ميادان ،تاريخ قرطاج ،تر ،ابراهيم بالش ،منشورات عويدات ، باريس ،1981.

-الزيدي مفيد ،التاريخ العربي بين الحداثة والمعاصرة ،دار أسامة للنشر والتوزيع ،الأردن ، عمان 2011.

-الزمرلي الصادق ، أعلام تونسيون ،تق ،و تح ،حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت

.1986

–طوسون عمر ،صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي الجيش البري والبحري ، ط2، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1926.

– طوسون عمر ، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثثم في عهد عباس الأول وسعيد، مطبعة صلاح الدين ، الإسكندرية ،1934.

–طراد نجيب ابراهيم، تاريخ الرومان ، تق ،محمد زينهم محمد عزب ،مطبعة الغد ، جيزة 1998.

–ياغي اسماعيل أحمد،محمود شاكر،تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2 ،دارالمريخ للنشر والتوزيع ،الرياض ،المملكة العربية السعودية ،1998.

–ياغي اسماعيل أحمد ،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،ط2،مكتبة العبيكان ،دن، 1993.

–يوجين روجان ، العرب من الفتوحات العثمانية الى الحاضر ، تر ، محمد ابراهيم الجندي ، مدينة نصر ، القاهرة ،2011.

–يحي عمر محمد ، السياسة الفاطمية في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، قسم التاريخ ،جامعة الملك عبد العزيز ، دس.

–الكعاك عثمان ، الرحلة الشابية 1966،تح ،رؤوف بلحسن ،تونس ،2009.

–كوفاليف دياكوف ، الحضارات القديمة ،تر، نسيم وكيم الياجزي ،ج2 ،دار علاء الدين ،دمشق ،2000.

–منصور عبد الحفيظ ،فهرس مخطوطات مكتبة الأحمدية بتونس ،دار الفتح للطباعة والنشر ،بيروت ،1969.

–مرسي الشيخ محمد محمد ،الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،1994.

-مجموعة من الباحثين ،تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر ،المجنع التونسي للعلوم والأداب والفنون ، بيت الحكمة ،قرطاج ، تونس ،1993.

-المحجوبي علي ،إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،سراس للنشر والتوزيع ،تونس ،1986.

-ملز باتريك ماري ،سلاطين بني عثمان ،مكتبة الإسكندرية ،دن ،1986.

-نمير طه ياسين ،تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،دار الفكر ،الأردن ، عمان ،2010.

-سوادي هشام هاشم ، تاريخ العرب الحديث 1516—1918م ،من الفتح العثماني الى نهاية الحرب العالمية الأولى ،دار الفكر ، عمان ،2010.

-السنوسي محمد ، الرحلة الحجازية ،ج1 ،تح ،علي الشنوفي ،الشركة التونسية للتوزيع ، 1976.
-سنو عبد الرؤوف ، القومية الألمانية وتجلياتها الوحدوية والعنصرية والإمبريالية ،1806-1990م ،بيروت ،2009.

-عبد الله الطاهر ،الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ،1830-1856م،دار المعارف ،سوسة ، تونس ،دس .

-عبد العزيز سليمان فواز ،تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ،دن، دس .
-العبادي أحمد مختار ،في التاريخ العباسي والفاطمي ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت،دس.
-عدنان حفيظ ، المسألة الشرقية القبرصية في المؤتمرات الإسلامية ،بيروت 1991.
-فلاحة محمد خير الدين ،الخلافة العثمانية من المهد الى اللحد ، دن ،2005.
-صبري محمد ،تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ،1926.
-القصاب أحمد ،تاريخ تونس المعاصر 1881-1956م،تر، حمادي الساحلي، الشركة الوطنية للتوزيع ، قرطاج ،1986.

-راغب السرجاني ،قصة تونس من البداية الى ثورة 2011 ،دار أقلام للنشر والتوزيع ، القاهرة 2011.

-الرافعي عبد الرحمان ،عهد محمد علي ، دار المعارف ،القاهرة ، 2001.

-رؤوف عباس أحمد ،تاريخ جامعة القاهرة ،دار النشر الإلكتروني ،دن ،1987.

-رمضان عبد العظيم ،تاريخ أوربا والعالم الحديث ،من ظهور البرجوازية الى الحرب الباردة ،ج2 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دس .

- شاطر خليفة وآخرون ، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال ،ج3، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية ،تونس ،2005.

-شوقي عطاالله الجمل ،المغرب العربي الكبير من الفتح العربي الى الوقت الحاضر ليبيا،تونس ،الجزائر ، المغرب الأقصى ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة ،2000.

-شوقي عطاالله الجمل ،المغرب العربي في العصر الحديث ،ليبيا، تونس ، الجزائر ، المغرب ، مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،1977.

-الشيال جمال الدين ،تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي ،دار الفكر العربي ، مصر ،1951.

-الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ الى الإستقلال ،تع ،محمد الشاوش ،محمد عجيمة ،ط3،دار سراس للنشر ، تونس ،1983.

-شمس نجم الدين زين العابدين ،تاريخ العرب الحديث والمعاصر،دار المسيرة الأردن ،عمان ،2011.

-التميمي عبد الجليل ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ،تونس ، الجزائر ، ليبيا ،1816-

1871م ، تق ،روبار منتران ،الدار التونسية للنشر، 1972.

– التميمي عبد الجليل ، الجيش في عهد محمد صادق باي1859–1882م ،كلية الأاب والعلوم الإنسانية ،جامعة صفاقس ،1995.

–ثامر الحبيب ،هذه تونس ،مطبعة الرسالة ،مكتبة المغرب العربي ،دن ،دس .
–الثعالبي عبد العزيز ،تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي الى نهاية الدولة الأغلبية ، تح ، أحمد بن ميلاد و،محمد ادريس ،تق ، حمادي الساحلي ،ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ،1990.

–خوجة محمد ، صفحات من تاريخ تونس ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1986.
– غانياج جان ، ثورة علي بن غذاهم 1864م ،تر لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ،1965.

3) المراجع باللغة الأجنبية

–AZZEDINE GUELLOUZ,HISTOIRE GÈNÈRAL DE LA TOUNISIE,SUD EDITIONS, TOUNIS ,2010.

–CAMBON HENRI , HISTOIRE DE LA REGENCE DE TOUNIS ,PARIS ,1984 –

–JEAN GANIAGE , LA POPULATION EROUPÈENE DE TUNIS AU MILLIEU XIX SIÈCLE,PARIS,1960.

4) المجلات والدوريات

–أنبه المعلول عبد الله ،هجرة بعض العلماء الليبيين الى تونس في العهد الحفصي الأسباب والنتائج ،مجلة الجامعة المغاربية ،ع1،طرابلس ،الجمهورية العربية الليبية الشعبية ،2007.
–الدليمي عبد النمال ،بسمارك ودوره في رسم السياسة الخارجية لألمانيا1871–1890م ،مجلة كلية الأداب ، قسم التاريخ ، الجامعة الإسلامية، بغداد ،دس.

-كوثراني وجيه، التنظيمات العثمانية والدستور ، بواكير الفكر الإصلاحي نصا وتطبيقا ومفهوما ، مجلة تبين ،ع3،2013.

-مهني مراد،الثقافة السياسية وتطور المؤسسة البرلمانية قراءة سوسيو تاريخية في التجربة التونسية 1861-2011م،د فاتر السياسة والقانون ،ع12،جانفي 2015.

-قرين أرنلر ،العلماء التونسيون وانتصاب الحماية الفرنسية على تونس 1881-1892م،تع، التميمي،المجلة التاريخية المغربية ،ع1،تونس ،جانفي 1974.

5) الرسائل الجامعية

- الإمام رشاد ، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م،رسالة مقدمة لبيل درجة الدكتوراه في الفلسفة ،دائرة التاريخ ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ،دس.

-بعيو غانية ، التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العلربية الشام والعراق نموذجا 1839-1876م،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستيرفي التاريخ الحديث ،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،2088-2009.

-دواس احسن ،المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن ال19م من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير،في الأدب المقارن ، كلية الأداب واللغات ،قسم اللغة العربية وأدابها،جامعة منتوري ،قسنطينة ،الجزائر،2007-2008.

-زبادي يوسف ابراهيم وفاء،الأجناس الأدبية في كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق لأحمد فارس الشدياق،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربية ، كلية الداراسات العليا ،جامعة النجاح،فلسطين ،2009.

-مبطي جميلة المسعودي ،المظاهر الحضرية في عهد دولة بني حفص منذ قيامها 621هـ حتى سنة 839هـ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الإسلامي،كلية الشريعة والدراسات

الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ،2000.

-العود محمد الصالح ،التحولات الحضارية في شمال افريقيا الفترة الوندالية 429-534م،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستيرفي التاريخ القديم ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، قسم الآثار،جامعة منتوري،قسنطينة ، الجزائر ،2009-2010.

-فلاحي رابح ،جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر1908-1954م،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،قسم التاريخ والآثار،جامعة منتوري ،قسنطينة، الجزائر ،2007-2008. 8-فريحة عبد المالك ، القبائل البربرية ومكانتها في الدولة الزيانية ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،قسم التاريخ ،والحضارة الإسلامية، جامعة منتوري،قسنطينة ، الجزائر ،2014-2015.

-صديقي عبد الجبار ،سقوط الدولة الموحدية ، دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير،في تاريخ الحضارة والمغرب الإسلامي،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ، الجزائر ،2013-2014.

-صحراوي نور الدين ،النفوذ الأوربي(الفرنسي -الإنجليزي-الإيطالي)في تونس 1857-1881م،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستيرفي التاريخ المعاصر،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،قسم التاريخ ، جامعة الجزائر2،2012-2013.

-قدادرة شايب ،الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري1934-1954م، دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر ،2006.

-شنحة خديجة ،إعتناق البربر للإسلام،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير تخصص الدين والمجتمع ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،جامعة وهران ، الجزائر ،2011—2012.

6) الموسوعات والقواميس

-الطالبي محمد ،دائرة المعارف ،التونسية ،تر،محمد العربي عبد الرزاق ،رياض المرزوقي ،ج4، بيت الحكمة قرطاج ،تونس ،1999.

-الكيالي عبد الوهاب وآخرون ،موسوعة السياسة ،ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،دس.

-عاطف عيد ،موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس ، الجزائر ،بيروت، 1999.

-شامي يحي ،موسوعة المدن العربية والإسلامية ، دار الفكر العربي ،بيروت ،1993.

-غربال محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة، م2،دار الشعب ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ،1956.

فهرس المحتويات

الموضـوع	الصفحة
شكـــر وعرفـــان	
الإهـــداء	
قائمة المختصرات	
مقدمـــة	أ-ث
الفصل التمهيدي: معطيات عامة حول تونس	7
أولا: دراسة جغرافية لتونس	8
1-الموقع الجغرافي والفلكي لتونس	8
2-مميزات الموقع الجغرافي التونسي	9
3-المجتمع التونسي	12
ثانيا: دراسة تاريخية لتونس	17
1-تونس في تاريخ بلاد المغرب القديم	17
2-الفتح الإسلامي لتونس	21
3-تاريخ تونس الحديث	25
الفصل الأول: الدوافع الخارجية لإحياء العلاقات التونسية الفرنسية خلال فترة الإصلاح	27
أولا: حركة التنظيمات في الدولة العثمانية	28
1- بداية التنظيمات العثمانية .	28
2- التنظيمات العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد الأول .	30
3-التنظيمات العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز .	33

ثانيا: حركة التنظيمات في مصر عهد محمد علي باشا	**35**
1- المظاهر العسكرية	**35**
2- المظاهر الإقتصادية	**37**
3- المظاهر العلمية والثقافية	**39**
ثالثا: مظاهر العلاقات التونسية الفرنسية خلال فترة الإصلاح التونسي	**42**
1-مظاهر العلاقات في الجانب العسكري	**43**
2-مظاهر العلاقات في الجانب الإقتصادي	**46**
3- مظاهر العلاقات في الجانب السياسي	**49**
4-مظاهر العلاقات في الجانب العلمي والثقافي	**52**
الفصل الثاني: مظاهر النفوذ الأوربي في تونس وخلفيات الإحتلال	**55**
أولا: أهم أسباب التنافس الأوربي على تونس	**56**
1-قانون عهد الأمان 1857م	**56**
2-ثورة علي بن غذاهم 1864م	**59**
3-اللجنة المالية الدولية 1869م	**61**
ثانيا: التنافس الأوربي على تونس	**64**
1-التواجد الفرنسي في تونس	**65**
2-التواحد الإيطالي في تونس	**68**
3-التواجد الإنجليزي	**71**

ثالثا: الحماية الفرنسية على تونس	**73**
1-الظروف الممهدة لفرض الحماية	**73**
2-التوقيع على معاهدة الباردو	**76**
3-بداية المقاومة التونسية للإحتلال الفرنسي	**78**
خاتمة	**81**
الملاحق	**85**
قائمة المصادر والمراجع	**98**
فهرس الموضوعات	**107**